كيف تتصرف بحكمة

سلسلة فن السلوك (٢)

السيد رضا علوي (خليل الموسوي)

٢٣ أكتوبر ١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

طُرق العطاء النافع ليست محصورة في أسلوب محدد، أو مُغلقة على فئة معينة، فالفقير يعطي بعفافه، والغني يعطي بأمواله، والعالم يعطي بأخلاقه، والباحث يعطي بعلمه، والمهندس يعطي بعمله، وهكذا تتكامل أدوار الإنسان بالعطاءات المختلفة، وتنتج مجتمعا صالحا، وقويا وقادرا على البناء، ومستمرا في العطاء. ولكن العلم قد يكون أكبر العطاءات وأوسعها، حتى أنه قُدم على عطاء الدم كما جاء في الحديث المأثور « مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء». والعلم هو مفتاح النجاحات على المستوى الفردي والإجتماعي، ولذلك اهتم القرآن الكريم بالتأكيد والتحفيز على العلم، وكذلك التشديد على موقع العلماء، كما عجت السنة النبوية بأحاديث كثيرة تبين موقع العلماء، وأهمية العلم، والمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

ولقد خلد التاريخ عظمائه بما خلفوا من عطاءات، وانتفع الناس من الباحثين والعلماء بما تركوا من مؤلفات حملت مضامين علمية تنمي تفكير الإنسان، وتأخذ بيده إلى الجاده، وتحرك عقله نحو الإبداع، وتحثه على العطاء الفكري والثقافي.

من لمحة العطاءات الآنفة الذكر جاء هذا المجهود الخير عرفان لعطاء رجل كرس حياته لخدمة مجتمعه، ودينه، وعايش في عمره القصير معاناة التغرب عن الوطن فهاجر وهو يحمل دينه وإسلامه بين جنجيه، وكان سلاحه القلم الذي يتدفق جدولا من العطاءات الوعظية والعلمية كدروس للشباب الطامح نحو التغيير والتكامل.

فكانت فكرة إعادة كتابة وإخراج مؤلفات الكاتب السيد رضا علوي (خليل الموسوي) كنسخ إلكترونية لتكون في متناول الجميع، ليكون نبع عطاء هذا الرجل مستمراً لا ينضب حتى بعد رحيله.

للحصول على مؤلفات وكتابات السيد رضا علوي (خليل الموسوي) يرجى زيارة موقع الكاتب

WWW.REDHA-ALAWI.COM

كيف تتصرف بحكمة

(٢)

سلسلة فن السلوك

٣٢ أكتوبر ١٩٨٧

السيد رضا علوي السيد أحمد
(خليل الموسوي)

الفهرس

نبـذة عن الكاتـب ٥
الإهــداء ٦
تقديـم ٧
تعريـف الحكمـة ١٠
أحاديث شريفة في العقل والحكمة ١٨
«الحكمة» في القرآن الحكيم ٢٤
«الحكمة» في السنة الشريفة ٣٩
الحكمـة والعلم وعلاقتهما بالعمل ٥٣
أحاديث شريفة في العلم والعلماء ٧٤
بين الأخلاق، والحكمـة ٨٠
أحاديث شريفة في الأخلاق ٩٣
موانع التصرف الحكيـم ٩٨
لكي ترث الحكمـة ١٠٦
مـن آثار الحكمـة ١٥٠
من صفات الشخصية الحكيمة ١٥٧
أحاديث شريفة في الشخصية الحكيمة ١٦٩

نبذة عن الكاتب

السيد رضا علوي السيد أحمد (١٩٥٨-٢٠٠٨) وإسمه المستعار "خليل الموسوي. كاتب ومؤلف ومهندس وأستاذ بحراني ولد في قرية مهزة بجزيرة سترة في البحرين. له العديد من المؤلفات التعليمية والتربوية والسلوكية التي يسعى من خلالها لتنشئة جيل واع ذاتياً وتربوياً وإجتماعياً مستقل التفكير، والتي منها سلسلة فن السلوك التي تتكون من ثلاثة أجزاء. وله العديد من الكتابات والمقالات النقدية التي يحاول فيها تسليط الضوء على المشاكل المجتمعية في محاولة لإيجاد حلول عميقة لتطوير ورقي المجتمع. كان معلماً في اللغة العربية وقد ألف كتاب بعنوان فن الكتابة وقام بتدريسه. وكان السيد رضا شاعراً، فله ديوان شعر لم يُطبع بعد. وقد كان يتقن ثلاث لغات، العربية والانجليزية والفارسية، وقد ترجم أحد كتبه الى اللغة الإنجليزية. وكان مهندساً معمارياً وقد شغل عدة مناصب وأخرها كان في بلدية المنامة. ألّف السيد رضا اثنا عشر كتاباً، سبعة منها قد تم طباعته وخمسة منها لم يستطع إكمالها بسبب المرض. الكتب التي تم طباعتها ونشرها كلها قام بتأليفها في هجرته، وهي سلسلة فن السلوك والتي تتكون من ثلاثة كتب (كيف تبني شخصيتك - كيف تتعامل مع الناس - كيف تتصرف بحكمه) وقد نُشرت الكتب بإسمه المستعار "خليل الموسوي". وأربعة كتب أخرى (فن التعامل مع الناس - كيف تستثمر أوقاتك - فن الكتابة - طرائف ونوادر) وقد نُشرت بإسمه الحقيقي. وقد طُبعت الكتب العديد من المرات ولازالت تُطبع وتباع في مكتبات الوطن العربي. وبعد رجوعه إلى الوطن دأب على تأليف عدة كتب وللأسف لم يتمكن من إكمالها بسبب المرض، وهي (فن تربية الأطفال: كيف نبني طفلاً أخلاقياً؟ - أفكار وأشعار: قوافي ورؤى من أثر العقل والتجربة - نظرات وعبر: كلمات عملية عابرة من أثر العقل والتجربة - وكتاب قصص قصار.

توفي السيد رضا علوي بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢٦م بعد صراع طويل مع المرض وقد دُفن بمقبرة السادة في قرية مهزة بجزيرة سترة في البحرين. رحم الله من قرأ سورة الفاتحة وأهدى ثوابها لروحه الطاهرة.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كل مـن ينشـد التـصرف الحكيـم، والسـلوك القويـم، والنجـاح، والفلاح في حياتـه عـلى ضـوء الدين، والإيمان، والرسـالة الإسـلامية الخالـدة. إلى كل مـن أراد تربيـة نفسـه، وحملها عـلى مقتـضى الـشرع، والعقـل، والحكمة، والأخـلاق الإسـلامية، وممارسـة العمـل الصالح.

تقديم

قال تعالى: -

﴿يُـؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَـاءُ وَمَـنْ يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَـيْرًا كَثِـيرًا وَمَـا يَذَّكَّـرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـابِ﴾[1].

الإنسـان – في هـذه الحيـاة – تـارة يكـون جاهلاً، وتـارة أخرى يكون عاقـلاً ولكنه لا يعـرف كيـف يسـتخدم عقلـه عمليـاً، وبالتالي فهو بحاجـة إلى العلـم، والحكمة التي تتطلـب القضـاء عـلى الجهل، وإحلال الوعـي، والعلم مكانة، بالنسـبة للحالة الأولى، وإسـتخدام العقـل بشـكل حكيـم في التـصرف والسـلوك العمـلي بالنسـبة للحالـة الثانية.

دعنا نضرب لذلك مثالاً: -

فالإنسـان قـد لا يعـي، عامـل الزمـن وقيمتـه، فـتراه يـصرف السـاعات والأيـام، والسـنوات مـن عمـرهِ، دون أن يـدري، وبشـكل لا أبـالي. ولكنـه بمجـرد أن يعيـه، ويحـث عـلى الإسـتفادة منـه، تـراه ينظر إلى الزمن نظـرة جدية. أو أنّـه يعرف عامل

١. سورة البقرة، الآية ٢٦٩

الزمـن نظريـاً، ولكنـه بحاجـة إلى تصميـم، أو توجيـه للإسـتفادة عملياً مـن هـذه المعرفـة، فـتراه بعـد توجيـه نظـرة عقلانيـة، تطبيقيـة، حكيمـة لعامـل الزمـن.

والحكمـة توفيـق، ومشـيئة مـن اللـه الحكيـم، وهـي خصلـة قابلـة للإكتسـاب، إذا وفـر الإنسـان في نفسـه شروط الإكتسـاب . وهـي ليسـت حكـراً عـلى أحـد، فمـن يوفـر في نفسـه شروط الحكمـة يوفقـه اللـه لأن يصبح حكيـماً. ويصفهـا اللـه – جل وعـلا – بالخـير الكثـير، إذ عـن طريقهـا يسـتطيع الإنسـان أن يتعامل مـع الكثير من القضايـا- في الحيـاة- ويتغلـب عـلى الكثير من العقبـات والموانع التـي تواجهه فيها.

والحكمـة مـن صفـات العقـلاء، ولا ينحـصر مفهـوم العقـلاء في الفلاسـفة، أو الذيـن وصلـوا الى مراحـل علميـة متقدمـة، أو الذيـن تخرجـوا مـن الجامعـات، والكليات ، والمعاهـد. وإمـا يشـمل كل إنسـان عاقل، متفكـر، واعٍ، يعرف كيف يسـتخدم عقله في جعـل معاملاتـه، وتصرفاته، وسـلوكياته، بعيـدة عن الخطأ، والإنحـراف، والباطل، مرضيـة للخالـق، مقبولـة لدى عقـلاء الناس.

ولا غرابـة أننـا نجـد بعـض الأُميـين - وإن كانـت الحكمة تسـتدعي المعرفـة وتجاوز الأُميـة - نجدهـم يتصفـون بنوع مـن الحكمة في بعض الجوانب، ذلـك لأن تجاربهم في هـذه الجوانـب خلقـت فيهم الوعـي والإعتبار، وبالتالي نجـد تصرفاتهم - في هذه الجوانـب - تـأتي منطقيـة، بعيـدة عـن الخطـأ، والإنحـراف. وهنـا يبرز الـدور الكبير للتجربـة، والإعتبـار بهـا، في خلق الوعـي التنظيمي، والحكمة في الإنسـان.

يقول الإمام علي (ع): «قد يقول الحكمة غير الحكيم»[1].

إضافـة إلى ذلـك أن الحكمـة قـد تعنـي أمـراً مطلقـاً، ولكـن المقصـود هنـا بالحكمة باعتبارهـا قيمـة إلهيـة دينيـة، تقـود الانسـان - في الدرجـة الاولى - الى الهدايـة، والتديـن، والإيـمان باللـه، وليس أي حكمـة. ان هناك الكثير مـن الحُكماء في التاريخ، كانـوا يتسـمون بالحكمـة في أكـثر مـن مجـال، إلّا أنهـم كانـوا يفتقـرون إلى الهداية، والتديـن، والإيـمان باللـه. وهنـاك من العلـماء - في عصرنا الحاضر- من يُسَخِر عِلمهُ لتدمـير البشريـة او لتضليـل المُجتمعـات، أو لتلحيدهـا بـدلاً مـن هدايتهـا، وهنـاك

1. شرح الغرور والدرر – ج٧ – ص٧٩

مـن الحُكـماء مـن يُسَـخِر حِكمتـه - في المجـال المُتخصـص والمُبـدع فيـه - لخدمـة الشـيطان، وعبـادة الـذات، والمـادة، وإسـتغلال الإنسـان، وإسـتعباده. إلّا أن هـذه الحكمـة لا تعتـبر حكمـة حقيقيـة في المنظـار الديني. لا سـيما إذا عرفنـا أن الحكمة لا تعنـي المعرفـة العلميـة أنى كان نوعهـا، وإنمـا هـي القيمـة التـي تدخـل في طياتها المعرفـة، ويدخـل فيهـا الكثـير مـن القيم الأخلاقيـة والإلهيـة، والإلتزامات السـلوكية السـوية، التـي تعـرج بالإنسـان إلى السـماء، وتبعـده عـن الإنحـراف، والإنفـراط، والوقـوع في الأخطـاء.

وهـذا الكتـاب هـو محاولة بسـيطة لتسـليط الضـوء على الحِكمـة، باعتبارهـا قيمة عقليـة أخلاقيـة أكـثر مـن ضروريـة، يحتاجهـا الإنسـان، في الخضـوع والعبوديـة إلى ربـه، وفي التعامـل مـع نفسـه، ومـع النـاس، والعلاقـات الإجتماعيـة معهـم، وفي كل الممارسـات الحياتيـة، وفي كل المعـارف، والعلـوم التـي يكتسـبها، ونسـأل اللـه أن يجعلنـا عـلى طريـق الحُكـماء الذيـن يضعـون الـشيء في موضِعـه، واللـه مـن وراء القصد.

السيد رضا علوي السيد أحمد (خليل الموسوي)

الأحد ١ ربيع الأول ١٤٠٨هـ

الموافق ٢٣ أكتوبر ١٩٨٧ مـ

تعريف الحكمة

ما هي الحكمة؟

هناك من يعتقد بأن للنفس الإنسانية، الناطقة قوتين، وهما:

- قوة الإدراك (القوة العاقلة).
- قوة التحريك (القوة العاملة).

وللقوة الأولى شعبتان هما:

- العقل النظري.
- العقل العملي.

والعقل النظري، هو القوة التي عن طريقها تنتقش الصور العلمية في ذهن الإنسان. أما العقل العملي، فهو القوة العاملة على تحريك جسم الإنسان في الأعمال الجزئية بالرويّة. وبعبارة أخرى: إدراك ما ينبغي أن يعمل. وهذه الشعبة لها علاقة بقوتي الشهوة، والغضب، وعن طريق هذه العلاقة تحدث بعض الكيفيات المُوجبة للأفعال والإنفعالات، كالخجل، والضحك، والبكاء، وغير ذلك، ومن حيث إستعمالها للوهم والخيال، تعمل على إستنباط الآراء، والأعمال الجزئية، ومن حيث نسبتها بالعقل، وحصول الإزدواج بينهما، هي سبب لحصول الآراء الكلية المتعلقة بالأعمال، كحسن الصدق وقبح الكذب، ونظائرهما.

وللقوة الثانية شعبتان أيضاً، هما:

- قوة الغصب.
- قوة الشهوة.

وقوة الغضب هي مبدأ لدفع الأعمال غير الملائمة، حين تغلب هذه القوة، وقوة الشهوة، هي مبدأ لجلب الأعمال الملائمة.

ثم إذا كانت القوة الأولى (العاقلة)، غالبة على سائر القوى، وكانت هذه الأخيرة

مقهورة لها، ومطيعة، كان تصرف الأُخرى على وجه الإعتدال، وحينها تنتظم أمور الإنسان، ويحصل تسالم، وتمازج للقوى الأربعة، فتهذب كل واحدة منها، ويحصل له ما يخصه من الفضيلة. فيحصل من تهذيب العاقلة، العلم، وتتبعه الحكمة، ومن تهذيب العاملة، العدالة، ومن تهذيب الغضبية، الحلم، وتتبعه الشجاعة، ومن تهذيب الشهوية، العفة، وتتبعها السخاوة. وعلى هذا تكون العدالة، كما لا للقوى العملية التي هي قوة التحريك، ومن هنا يمكن القول أن الحكمة هي العدالة، والعدالة هي الحكمة، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والعدالة - ايضاً – كذلك.

وقيل: الحِكمة تحقيق العلم، وإتقان العمل.

وقيل: ما يمنع الجهل.

وقيل: هي الإصابة في القول.

وقيل: هي طاعة الله.

وقيل: هي الفقه في الدين

وقيل: كل ما يؤدي الى مكرمة، أو يمنع من قبيح.

وقيل: ما يتضمن صلاح الدنيا والآخرة.

والتعاريف متقاربة، ويظهر من الأخبار (الأحاديث والروايات الشريفة) أنها العلوم الحقة النافعة مع العمل بمقتضاها. وقد تطلق على العلوم الفائضة من الله - عز وجلّ - على العبد، بعد العمل بما يعلم[١].

والحكمة في اللغة، من الفعل (حكم)، أي صار حكيماً. والحكمة هي الكلام الموافق الحق، وهي الفلسفة. والفلسفة، كلمة آتية من الفعل فلسف، أو تفلسف، أي تأنق، وتفنن في المسائل العلمية، وهي علم الأشياء بمبادئها، وعللها الأولى، وهي كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين: (فيليا) التي تعني محبة،

١. بحار الأنوار- ج١- ص٢١٥

و(صوفيا) وتعني الحكمة، فيكون تأويلها محبة الحكمة. ويعرف اللغويون الفلسفة بالحكمة أيضا.

والحكمة هي صواب الأمر، وسداده، والسداد هو الرشاد، والإستقامة. وهي العدل الذي هو الإنصاف، وإعطاء كل ذي حق حقه، والملكة الباعثة على ملازمة التقوى، كما يعرفه الفقهاء. وهي الحلم الذي هو ضد الطيش، والغضب، وصد الجهل والسفه، والصبر، والأناة، والسكون مع القدرة والقوة، وهو العقل. والحكمة هي الفهم، والوعي، ووضع الشيء في موضعه.

قيل للإمام علي (ع): صف لنا العاقل «الحكيم».

فقال: «هو الذي يضع الشيء، مواضعه». فقل: فصف لنا الجاهل، فقال: «قد فعلت»[1].

ويقول الإمام علي(ع):

«لا يرى الجاهل إلا مفرطاً، أو مفرّطاً» [2].

والإفراط هو الزيادة والمبالغة في الشيء، والتفريط، هو التنقيص، والتقصير فيه. والتقصير على نوعين:

التقصير: ويعني التقصير، مع وجود العلم.

والقصور: ويعني التقصير، في غياب العلم. وفي كلتى الحالتين يكون الانسان جاهلاً، بعيداً عن الحكمة.

ويفسر بعض المفسرين كلمة «الحكمة» التي وردت في الآية الكريمة:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ «بأنها المعرفة، والعلم»[3].

ومن خلال التعريفات الآنفة الذكر، يتوضح لنا أن الحكمة هي الكلام الذي

---

١. نهج البلاغة – ص٥١٠

٢. ميزان الحكمة- ج٢ – ص١٥٥

٣. سورة النحل، الآية: ١٢٥

يعبر عن الحق، والحق هو الرأي، والإعتقاد الذي يطابقه الواقع ويلازمه الرشد، من غير غيّ، وهذه هي الحكمة، فهي الرأي الذي أحكم في صدقه، فلا يتخلله كذب، وفي نفعه، فلا يعقبه ضرر.

ومن هنا فإن من صفات الإنسان الحكيم أنه يفكر قبل أن تنطلق من على لسانه أي كلمة، وكل كلمة ينطقها، يحسب لها حساباً، لكي تأتي موافقة، مناسبة، محققة، وبالتالي يكون لسانهُ وراء قلبه (أي عقله)، وليس كالأحمق الذي قلبه وراء لسانه.

وفي هذا المجال، يقول الإمام علي (ع):

«لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[1].

فلكي تكون حكيماً، حاول دائماً أن تتكلم في موضع الكلام، وأن تسكت في موقع السكوت، وأن يكون كلامك موافقاً يعبر عن الحق، بعيداً عن الأهواء النفسية، وحُب الذات. وهكذا الحال بالنسبة؟ والسلوك العملي، فلكي تكون حكيماً، لا بد لك أن تفكر قبل أن تقدم على ممارسة أي عمل.

ومن الحكمة العلم بالأسباب والعلل، لا بالظواهر والنتائج فقط، ومعالجة الأسباب لا النتائج في حالة وجود المُشكلات. وهذا التعريف لا يقتصر فقط على القضايا الإعتقادية، وإنما يمكن الإستفادة منه في معالجة القضايا الحياتية المختلفة الأخرى، صغرت أم كبرت. ولنضرب لذلك مثالاً بسيطاً:-

شخص يصاب بالقلق المصحوب بالأرق أثناء النوم، فيعالجه كنتيجة وأعراض، فيذهب إلى الطبيب المختص، فيقوم الآخر بإعطائه الأقراص المهدئة التي نادراً ما تفيد في إزالة القلق بشكل جذري. ولكنه لو فكر في علل، وأسباب القلق، وعلاجها على هذا الأساس، لكان العلاج أنجح، وأجدى. فقد يكون سبب القلق، عدم النوم الكافي، أو الخوف من المستقبل، أو الخوف من المجهول، أو الخوف

١. نهج البلاغة – ص٤٧٦

مـن الحـروب، أو الخـوف مـن المـوت، أو الخجـل، أو المشـاكل الزوجيـة، أو الإفتقار إلى برمجـة الأعـمال، أو الإزدحـام الذهنـي أو العجلـة أو عوامـل وراثيـة أو . . . وبمعالجـة الأسـباب الفعليـة بشـكل جـدي يمكـن للإنسـان أن يتغلـب عـلى القلـق بشـكل جذري.

وقِـس عـلى ذلـك، الكثـير مـن القضايا التـي تواجـه الإنسـان، والتي هـي بحاجة إلى معالجـة وتخـطٍ، لـو أن الإنسـان إسـتخدم فيهـا الحكمـة، وعالـج أسـبابها، وعللهـا، دون نتائجهـا وظواهرهـا، لوفـر على نفسـه الكثير من المتاعب، والجهـود، والأوقات.

والحكمـة تعطـي الإنسـان صوابيـة في أموره، وتجعله سـديداً، رشـيداً، مسـتقيماً، إلى درجـة مُعينـة، لا تصـل- بأي شـكل مـن الأشـكال - إلى درجة

العِصمـة، التـي فـرد اللـه بهـا الأنبيـاء، والرسـل (ع)، والمعصومـين مـن أهـل البيـت (ع)، لأنهـا حكمتـه - تعـالى - فيهـم. ومـن هنـا يمكـن القـول، بـأن العصمـة مرحلـة متقدمـة جـداً مـن الحكمة، وهـي خاصة، وليسـت عامة. ولكن بإمكان الإنسـان إذا تعـب عـلى نفسـه، وروضّهـا أن يصـل إلى درجـة مـن العصمة.

وعمومـاً فـإن الحكمـة تقـود الإنسـان إلى التفكـير المنطقـي، والممارسـة الحكيمـة التـي تقلـل أخطـاءُه وزلاتـه. ومـن الطبيعـي أن مـن يفكـر، ويمـارس، ويتـصرف عمليـاً بشـكل منطقـي، لا شـك أنـه يكـون حكيـماً، سـديداً، رشـيداً، مسـتقيماً في حياتـه.

والحكمة تعني العدل.

وقد تسأل: كيف يكون العدل معبراً عن الحكمة؟

وللإجابة على ذلك، نتساءل: ما هو العدل؟

إن العـدل كـما تقـدم، هو الملكـة الباعثة على مُلازمـة تقوى الله، وخوفهِ، وخشـيتِه، وهـو الإنصـاف، ووضـع الـشيء في موضِعه. ومـن الطبيعي أن من يُـلازم الخوف من ربـه، فيعطـي ربـه حقوقـه، ويعطـي الآخريـن حقوقهـم، بمـا لكلمـة الآخريـن مـن معنـى وتفصيـل، ويعطـي كل شيء وجانـب في الحيـاة حقـه، ويعطـي نفسـه حقها،

ويكـون منصفـاً معها، في جميـع الحالات، والظـروف، ويضع الأشـياء مواضعها، ومن الطبيعـي أنه يكـون حكيماً.

وكيف تكون الحكمة هي الحلم؟

والجواب:

لأن الحِلـم مـن تعاريفـه، العقـل، والعقـل هـو الحكمة. وسُـمي الحليـم حليماً لأنه عاقـل، ويجيـد إسـتخدام عقلـه، عـلى عكـس ذلـك الإنسـان الغضب الطائـش، الذي يتعطـل عقلـه في كثـير مـن الحـالات، ويطلـق العنـان لقوتـه الغضبيـة، ولعواطفـه، وإنفعالاته النفسـية.

وكمثـال عـلى الحكمـة والحلـم وضبـط النفـس ينقـل التاريخ أنـه عندما بـرز الإمام عـلي (ع) في يـوم الخنـدق، لفـارس يليـل، عمرو بـن ود العامـري، وتبـارزا، وتصاولا، طـرح الإمـام عمـرو عـلي الأرض ليقتله، فتفـل عمرو اللعـين في وجه الإمـام، فأحجم الإمـام عـن قتلـه في هـذه الحالـة، وتركـه مـدة مـن الزمـن، وأخـذ يتمـشى دائـرا في الميـدان، ثـم رجـع إليه، وإحتز رأسـه.

ولمـا سُـئِل الإمـام عـن السـبب في ذلـك، أجـاب بمـا معنـاه: أننـي خشـيت أن أقتلـه لغضبـي، أي أننـي لم أرد قتلـه وأنـا في حالة مغضبـة، فيكون القتـل إنتقامياً، لنفسي، وأنمـا أردت ان أقتلـه للـه فقـط. وهـذه القصـة تعطينـا درسـاً مفعـماً بالحكمة فيما يرتبـط بالحلـم، وضبط النفـس، والتحكم في عواطفهـا، وإنفعالاتها. ومـا أكثر الحكم في حيـاة الأنبيـاء، والرسـل، وأئمة أهـل البيت (ع)!

والحكمـة هــي العلـم، والمعرفة بأعيـان الموجودات، سـواء كانت الموجـودات إلهية، أي واقعـة بقـدرة البـاري - عـزَّ وجـلَّ-، أو موجـودات إنسـانية، أي واقعـة بقـدرة الإنسـان، وإختيـاره. والحكمـة هــي «إسـتعمال العقـل بالوجـه الأصلح».

يقول الإمام علي (ع):

«الحكمة شجرة تنبت في القلب، وتُثمر على اللسان»[1].

١. ميزان الحكمة – ج٢ – ص ٤٩٠

ولقد ذهب البعض إلى تقسيم الحكمة إلى قِسمين:

- الحِكمة النَظرية.
- الحِكمة العملية.

ثـم قسـموا العمليـة إلى ثلاثـة أقسـام، أحدها علم الأخلاق، المشـتمل عـلى الفضائل الأربـع التـي إحداهـا الحكمـة، وحسـب هـذا التقسـيم تكـون الحكمـة قسـماً مـن نفسـها. ثـم ذكـروا أن الفضائـل الأربـع التـي يشـتملها علم الأخـلاق هي:

الحكمـة: وهـي معرفـة حقائـق الموجـودات عـلى مـا هي عليـه، والموجـودات إن لم يكـن وجودهـا بقدرتنـا، وإختيارنـا، فالعلـم المتعلـق بها هـو الحكمـة النظرية، وإن كان وجودهـا بقدرتنـا، وإختيارنـا، فالعلـم المتعلـق بهـا، هو الحكمـة العملية.

العفـة: وهـي إنقيـاد القـوة الشـهوية البهيميـة [1] للقـوة العاقلـة فيـما تأمرهـا بـه، وتنهاهـا عنـه، حتـى تكتسـب الحريـة، وتتخلـص مـن أسر عبوديـة الهـوى.

الشـجاعة: وهـي إطاعـة القوة الغضبيـة السـبعية [2] للقوة العاملـة، في الإقدام على الأمـور الهائلـة، وعـدم إضطرابهـا بالخـوض فيـما يقتضيـه رأيهـا، حتى يكـون فعلها ممدوحـاً، وصبرهـا محموداً.

العدالـة: وهـي إنقيـاد العقـل العمـلي للقـوة العاملـة، وتبعيتـه لهـا في جميـع تصرفاتـه، وضبطـه الغضـب، والشـهوة، تحـت إشـارة العقـل، والـشرع الـذي يحكم العقـل ايضـاً، بوجـوب إطاعتـه، أو سياسـة قـوتي الغضـب، والشـهوة، وحملهـا عـلى مقتـضى الحكمـة.

ويمكـن القـول أن التعاريـف السـابقة، للحكمـة، والتـي مـن ضمنهـا: صـواب الأمـر وسـداده، والعـدل، والحلـم، والفهـم، ووضـع الـشيء في موضعـه، والعلـم بالأسـباب والعلـل، هـي كلهـا أجـزاء، أو نتائـج طبيعيـة للحكمـة العقليـة.

ويهمنـا مـن كل مـا سـبق مـن تعاريـف الحكمـة: أنهـا العلـم أو المعرفـة الصحيحة

١. البهيمية من البهيمة، حيث ان البهائم مفطورة على الشهوة.

٢. السبعية من السبع وهو الوحش.

الحقـة التـي عـلى ضوئِها يقوم الإنسـان بالعمـل، والتصرف في الواقع بشـكل عقلاني، ومـشروع، وعلمـي، وصائـب، ومتقن، لتحقيـق صلاح دُنيـاه وآخرته.

وبعبـارة أخـرى: أنها المعرفـة الحقة النافعـة المتعلقة بالفكر والإعتقـاد، والعمل. أي وضـع الـشيء في موضعـه على صعيـد الفكر والعلـم، وعلى صعيد العمـل والتصرف

أحاديث شريفة في العقل والحكم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾..«آل عمران - ١٩٠».

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾..«البقرة - ٢٦٩».

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾..«البقرة-٢٤٢».

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْنَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾..«الملك - ١٠».

«إن الله تبارك وتعالى بَشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [1] «الإمام الكاظم» ».

«إن الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعني: العقل والفهم، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾: الفهم والعقل» [2]. «الإمام الكاظم» ».

«أول ما خلق الله العقل»[3]. «الرسول الأعظم».

«عقل المرؤ نظامه»[4]. «الإمام علي».

«العقل أقوى أساس»[5]. «الإمام علي».

«العقل مركب العلم، العلم مركب الحلم» [6]. «الإمام علي».

«العقل منزه عن المنكر آمر بالمعروف» [7]. «الإمام علي».

١. ميزان الحكمة - ج٦- ص ٣٩٤
٢. المصدر السابق- ص٣٩٥
٣. المصدر السابق - ص٣٩٥
٤. المصدر السابق - ص٣٩٥
٥. المصدر السابق - ص٣٩٦
٦. المصدر السابق - ص٣٩٦
٧. المصدر السابق - ص٣٩٦

«العقل صلاح كل أمر»[١]. «الإمام علي».

«العقل حسام قاطع»[٢]. «الإمام علي».

«العقل رسول الحق»[٣]. «الإمام علي».

«العقل يُصلح الرويّة»[٤]. «الإمام علي».

«العقل يوجب الحذر، الجهل يوجب الغرر»[٥]. «الإمام علي».

«العقل يهدي وينجي، والجهل يغوي ويردي»[٦]. «الإمام علي»

«لا غنى أكبر من العقل»[٧]. «الإمام علي».

«قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له» [٨].«الإمام علي».

«ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل. . .»[٩]. «الرسول الاعظم».

«لما خلق الله العقل إستنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي! ما خلقت خلقاً أحسن منك، إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أثيب، وإياك أُعاقب» [١٠]. «الإمام الباقر».

«العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء»[١١]. «الإمام علي».

---

١. المصدر السابق – ص٣٩٦

٢. المصدر السابق – ص٣٩٦

٣. المصدر السابق – ص٣٩٦

٤. المصدر السابق – ص٣٩٦

٥. الغرر والدرر

٦. المصدر السابق

٧. ميزان الحكمة – ج٦ – ص٣٩٧

٨. المصدر السابق – ص٣٩٧

٩. المصدر السابق – ص٣٩٨

١٠. اصول الكافي – ج١ – ص٢٦

١١. ميزان الحكمة – ج٣ – ص٤٠٠

«العقل أصل العلم، وداعية الفهم»[١]. «الإمام علي».

«دُعامة الإنسان العقل، ومن العقل، الفطنة والفهم والحفظ والعلم . . .»[٢]. «الإمام الصادق».

«بالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم العقل حرمها جميعاً»[٣]. «الإمام الحسن».

«إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[١]. «الرسول الأعظم».

«بالعقل أُستخرج غور الحكمة، وبالحكمة أُستخرج غور العقل»[٤]. «الإمام علي».

«إن لله على الناس حُجتين: حُجة ظاهرة وحُجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام. وأما الباطنة فالعقول»[٥]. «الإمام الكاظم».

«لا معيبة كعدم العقل»[٦]. «الإمام الباقر».

«العقل خليل المرء»[٧]. «الإمام الحسن».

«العقل خليل المؤمن»[٨]. «الإمام علي».

«العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما غلب كانت في حيّزه»[٩]. «الإمام علي».

«إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب، فإن لم تعقل حارت»[١٠]. «الرسول الأعظم».

١. الغرر والدرر
٢. ميزان الحكمة. ج٦ – ص٤٠١
٣. المصدر السابق- ص٤٠١
٤. أصول الكافي -ج١- ص٢٨
٥. المصدر السابق- ١٦
٦. ميزان الحكمة- ج٦ – ص٤٠٣
٧. المصدر السابق - ص٤٠٤
٨. المصدر السابق - ص٤٠٤
٩. المصدر السابق - ص٤٠٥
١٠. المصدر السابق - ص٤٠٦

«العقل أن تقول ما تعرف، وتعمل بما تنطق به»[١]. «الإمام علي».

سُئل الحسن بن علي «عليهما السلام» فقيل له: ما العقل؟ فقال: «التجرّع للغصة حتى تنال الفرصة»[٢].

سُئل الإمام الرضا «عليه السلام»: ما العقل؟ قال: التجرّع للغصة، ومداهنة الأعداء، ومداراة الأصدقاء»[٣].

«أصل الإنسان لبّه وعقله دينه»[٤]. «الإمام علي».

«إنما العقل في التجنب من الإثم، والنظر في العواقب، والأخذ بالحزم»[٥]. «الإمام علي».

«إن الله تبارك وتعالى خلق العقل من نور مخزون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مُرسل ولا ملك مُقرب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينيه، والحكمة لسانه، والرأفة فمه، والرحمة قلبه، ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء: باليقين، والإيمان، والصدق، والسكينة، والإخلاص، والرفق، والعطية، والقنوع، والتسليم، والشكر . . .»[٦]. «الرسول الأعظم «ص».

«العقل والعلم مقرونان في قرن لا يفترقان ولا يتباينان»[٧]. «الإمام علي».

«العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك»[٨]. «الرسول الأعظم».

«العقول مواهب، والآداب مكاسب»[٩]. «الإمام علي».

«العقل عقلان عقل الطبع وعقل التجربة، وكلاهما يؤدي الى المنفعة»[١٠]. «الإمام علي».

١. ميزان الحكمة – ج٦ – ص٤٠٦
٢. المصدر السابق – ص٤٠٧
٣. المصدر السابق – ص٤٠٧
٤. المصدر السابق – ص٣٠٧
٥. الغرر والدرر
٦. ميزان الحكمة- ج٦- ص٤٠٧
٧. المصدر السابق – ص٤١٢
٨ .المصدر السابق – ص٤١٢
٩ .المصدر السابق – ص٤١٣
١٠. المصدر السابق – ص٤١٣

«العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب»[١]. «الإمام علي».

«أعون الأشياء على تزكية العقل، التعليم»[٢]. «الإمام علي».

«كثرة النظر في العلم يفتح العقل»[٣]. «الإمام الصادق».

«كثرة النظر في الحكمة تلقح العقل»[٤]. «الإمام الصادق».

«كمال العقل في ثلاث: التواضع لله، وحسن اليقين، والصمت إلّا من خير»[٥]. «الإمام الصادق».

«كمية الفعل تدل على كمية العقل»[٦]. «الإمام علي».

«رأي الرجل ميزان عقله»[٧]. «الإمام علي».

«ستة تختبر بها عقول الناس: الحلم عند الغضب، والصبر عند الرهب، والقصد عند الرغب، وتقوى الله على كل حال، وحسن المداراة ، وقلة المماراة» [٨].«الإمام علي».

«كثرة الصواب تنبئ عن وفور العقل»[٩]. «الإمام علي».

«إذا كمل العقل نقصت الشهوة»[١٠]. «الإمام علي».

«من قوي عقله أكثر الإعتبار»[١١]. «الإمام علي».

«ذهاب العقل بين الهوى والشهوة»[١٢]. «الإمام علي».

«عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله»[١٣]. «الإمام علي».

١ .المصدر السابق – ص٤٢٦
٢ .المصدر السابق – ص٤٢٦
٣ .المصدر السابق – ص٤٢٦
٤ .المصدر السابق – ص٤٢٦
٥ .المصدر السابق – ص٤٢٧
٦. المصدر السابق- ص٤٢٨
٧. ميزان الحكمة – ج٦ – ص٤٢٩
٨. المصدر السابق – ص٤٢٩
٩. المصدر السابق – ص٤٣٠
١٠. المصدر السابق – ص٤٣٠
١١. المصدر السابق – ص٤٣١
١٢. المصدر السابق – ص٤٣١
١٣. بحار الانوار- ج٧٢- ص٣١٧

«اذا قلّت العقول كثر الفضول»[١]. «الإمام علي».

«حدّ العقل الإنفصال عن الفاني، والإتصال بالباقي»[٢]. «الإمام علي».

«حدّ العقل النظر في العواقب، والرضا بما يجري به القضاء»[٣]. «الإمام علي» .

«رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، وإصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر»[٤]. «الرسول الأعظم».

«أفضل العقل معرفة الحق بنفسه»[٥]. «الإمام علي».

«ثمرة العقل لزوم الحق»[٦]. «الإمام علي».

«عدو العقل الهوى»[٧]. «الإمام علي».

«العقل مَسكنه القلب»[٨]. «الإمام الباقر».

«موضع العقل الدماغ، ألا ترى الرجل إذا كان قليل العقل قيل له: ما أخفّ دماغك . . .»[٩]. «الإمام الصادق».

«من إستغني بعقله زُل»[١٠]. «الإمام علي».

«إن الغلام إنما يثغر في سبع سنين، ويحتلم في أربعة عشر سنة، ويستكمل طوله في اربع وعشرين، ويكتمل عقله في ثمان وعشرين سنة، وما كان بعد ذلك فإنما هو بالتجارب»[١١]. «الإمام علي».

---

١. الغرر والدرر
٢. المصدر السابق
٣. المصدر السابق
٤. ميزان الحكمة- ج٦- ص٤٣٣
٥. المصدر السابق – ص٤٣٤
٦. المصدر السابق – ص٤٣٤
٧. المصدر السابق – ص٤٣٦
٨. المصدر السابق – ص٤٣٨
٩. المصدر السابق – ص٤٣٨
١٠. المصدر السابق – ص٤٣٨
١١١٠. المصدر السابق- ص٤٣٧

«الحكمة» في القرآن الحكيم

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[1].

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[3].

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوامِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[4].

القرآن الكريم، هو الذكر الحكيم، وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول، وهو كتاب الحكمة، يعلم الإنسان كيف يكون حكيماً في حياته، ومرضياً عند الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا والآخرة. ومن دلائل حكمة القرآن، أن المرء العاقل حينما يقرأ آية منه، ويتأمل، ويتدبر فيها، يشعر أن الحكمة تتدفق منها.

ولقد وردت «الحكمة»، في القرآن الكريم - معرفة ونكرة - عشرون مرة، ووردت كلمة «الحكيم» - معرفة ونكرة - ثمان وتسعين مرة. إذ أن من صفات الله، الحكمة، فهو الباري، والمبدع لكل الموجودات، من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد وغير ذلك. وإذا علمنا أن الله حكيم، فمن واجبنا نحن البشر، أن نتخلق بأخلاقه، ونكون حكماء في حياتنا، لكي نسعد فيها، ونكون مرضيين في الآخرة.

العلاقة بين القرآن، والحكمة:-

عن ابن عباس مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ..﴾، قال: الحكمة: القرآن[5].

١. سورة آل عمران، الآية: ٥٨
٢. سورة البقرة، الآية:١٢٩
٣. سورة البقرة، الآية: ١٥١
٤. سورة آل عمران، الآية: ١٦٤
٥. بحار الأنوار- ج١ – ص٢٢٠

من الأمور الجديرة بالملاحظة، والذكر، فيما يرتبط بالقرآن، والحكمة، أن الحكمة وردت في القرآن الحكيم - في أغلب المواقع - بعد الكتاب الذي هو القرآن نفسه بالنسبة للنبي (ص)، وبعد الكتب السماوية الأخرى بالنسبة لبقية الأنبياء، والرسل، الأمر الذي يؤكد الإرتباط الوثيق بين الكتب السماوية - والقرآن خاتمتها - وبين الحكمة. والحكمة في القرآن، هي المعارف الإلهية من العقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، وهي المعارف الحقة التي تنفع الإنسان وتكمله، والمتعلقة بالإعتقاد والعمل، وهي وسط الإعتدال بين الجهل والجربزة، وهي العقل والعلم والوعي والفهم، والأحكام الفرعية والمصالح المشتملة عليها. ومنه نستنتج.

نعود فنتساءل :

ما هي العلاقة بين القرآن، والحكمة؟

ولماذا جاءت الحكمة، بعد القرآن، في أكثر المواقع من الآيات القرآنية التي تتناول الحكمة؟

للإجابة على ذلك:

أن القرآن كتاب إنسانية، وهداية - كما الكتب السماوية في عهدها - وهو يعلم الإنسان، كيف يكون إنساناً متكاملاً ، ومن أحد أوصاف القرآن أنه الذكر الحكيم، وهو مرسل من الله الحكيم، والله لا تصدر منه إلا الحكمة، فتكون علاقة الحكمة بالقرآن، هي علاقة التابع بالمتبوع، والثمرة بالأصل.

يقول تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [1].

وعلى ذلك، فإن التأمل في القرآن الحكيم، والتدبر في آياته، وتطبيق تعاليمه، من أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، وأمثلة - والتي تسمى بالحروف السبعة - يؤدي بالإنسان لأن يكون حكيماً في حياته، .عارفاً بحقيقتها، مستقيماً، وسوياً وعادلاً فيها. ومما لا شك فيه أن المنهج الحكيم، يُعلم الإنسان كيف يكون حكيماً، والقرآن منهج حكيم للإنسانية بالطبع، لذلك كانت الحكمة أثراً

١. سورة النجم، الآية: ٤-٥

مـن آثـاره عـلى النبي، وصفة مـن صفاته (ص)، ومعـارف، كلّف بإيصالهـا إلى الناس، وبأسـلوب حكيـم أيضـاً، وهـو مـا يعـبر عنـه في العـصر الحـاضر بالإسـلوب العلمـي المنظم.

يقول - تعالى:-

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا... ﴾ [1].

وحينـما تبتعـد النفس الإنسـانية عن منهـاج القرآن الحكيـم، وعن التدبـر، والتأمل، والتفكـر في آياتـه، تصـاب بحجـب نفسـية، تشـكل أقفـالاً قاسـية، مانعـة لهـا مـن الهدايـة أو الصـلاح، أو أن الحجـب النفسـية التـي ترين على قلب الإنسـان، وإتباعه لأهوائـه، تشـكل موانـع قويـة، ضـد التدبـر، والتأمـل في آيـات القـرآن الحكيـم، والإلتـزام بتكاليفهـا الشرعيـة، وتوجيهاتهـا الأخلاقيـة. ومـن هنـا كان التدبّـر، والأمل في آيـات القـرآن الحكيـم، والتطبيـق العمـلي لمـا تتضمنهـا مـن فرائـض وأخلاقيـات ومسـؤوليات، وسـيلة للإنسـان لأن يمتلـك الحكمـة في حياتـه، سـواء الحكمـة بمعنى الأسـلوب العقـلاني، أو المعـارف الحقيقيـة، علـماً بـأن الحكمـة — في حـدّ ذاتهـا - وسـيلة لمرضـاة اللـه، وهـدف يرجـى الوصـول إليـه، وهـي ليسـت هدفـاً نهائيـاً، إذ الهـدف النهـائي هـو مرضـاة الـرب، والتوفيق في الآخـرة، التي هي خـير وأبقى، وهي الـدار الحيـوان لـو كانـوا يعلمون.

ومـما يلاحـظ في الآيـات القرآنيـة التي تتنـاول الحكمـة، أن الحكمة تـأتي أحيانا قبل التزكيـة، كـما في الآية القرآنيـة التالية:

﴿رَبَّنَـا وَابْعَـثْ فِيهِـمْ رَسُـولًا مِنْهُـمْ يَتْلُو عَلَيْهِـمْ آيَاتِـكَ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِـمْ إِنَّـكَ أَنْـتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

وهنا السؤال:

ما الحكمة في ذلك؟

١. سورة محمد، الآية:٢٤

٢. سورة البقرة، الآية: ١٢٩

أليسـت التزكيـة أمـر تأسـيسي، يجـب أن يـأتي متقدمـاً عـن الحكمـة، أم لايوجـد هـدف، مـن التقديـم، والتأخـير في جزئيـات آيـات القـرآن الحكيـم؟

قبـل الإجابـة يجـدر بنـا أن نعـرف التزكيـة. فهـي تفعيـل مـن الـزكاة، وهـي النمـو الصالـح الـذي يـلازم الخـير والبركـة. وتزكيـة الرسـول لمن أرسـل لهـم تعنـي: تنميته لهـم نمـاءً صالحـاً، بتعويدهـم الأخـلاق الفاضلة، والأعـمال الصالحـة، فيكملون بذلك في إنسـانيتهم، فيسـتقيم حالهـم في دُنياهـم، وآخرتهم، ويعيشـون سُـعداء، ويموتون سُـعداء. والتزكيـة تعنـي: التطهـير مـن الأدران، والشـوائب، والرواسـب، والسـلبيات السـابقة، وهدمهـا. وقـد يفهـم مـن تقديـم الحكمة عـلى التزكية في هـذه الآية، وفي الآيـات الأخـرى التـي تتقـدم فيهـا الحكمة عـلى التزكية، قـد يفهم منهـا أن الحكمة باعتبارهـا العقـل، وإسـتخدامه عـلى الوجـه الأصلـح، هـي التـي تمكـن الإنسـان وتجعلـه يـزكي نفسـه، ويطهرهـا. وبعبـارة أخـرى أن التزكية ثمـرة من ثمـرات العقل والعقـل هـو الحكمة.

ولا شـك أن القـرآن الحكيـم حينـما يقـدم شـيئاً عـلى شيء، أو يؤخر شـيئاً بعد شيء، ليـس ذلـك إعتباطـاً، وإنمـا لهـدف مقصـود، فقد يكـون المؤخر سـبباً للمقـدم، أو أن المؤخـر إسـتدراك، أو تشـابه، أو تعليـل، أو تكميـل، أو تفريـغ، أو. . .، للمقدم.

والتزكيـة وردت في آيـات أخـرى، بعـد تـلاوة النبـي للآيـات عـلى النـاس، بإعتبارهـا ضرورة أوليـة في التربيـة، ولكنهـا جـاءت في هـذه الآيـة متأخـرة، بإعتبـار أن الحكمة التـي هـي المعـارف الحقيقيـة في القـرآن، تـؤدي إلى تطهـير الإنسـان، وتزكيتـه، هذا مـن جهـة. ومـن جهـة أُخـرى أن الإنسـان لا غنـى لـه عـن تطهـير نفسـه، وتزكيتها، ومحاسـبتها، وهـدم الرواسـب، والشـوائب التـي تعلـق بهـا، وملازمـة هـذا الأمر، في كل مرحلـة مـن مراحـل حياته.

فعـلى سـبيل المثـال: ذلـك المبتـدئ في العلـم عليـه أن يـزكي نفسـه، ويطهرهـا قبـل التعلـم، وأيضـاً وذلـك العـالم الـذي وصـل إلى درجـة كبـيرة في التقـوى والـورع أيضاً، ليـس غنيـاً عـن تطهير نفسـه وتزكيتها، فيما إذا اعترضه الشـيطان، أو إرتكب شـيئا مـما لا يحـل ولا يجمل.

وبالطبع، أن الإنسان كلما إزداد تقوى وورعاً ونماءاً - في هذه الحياة - كلما كان إنحرافه أخطر، ولذلك فهو بحاجة إلى مراقبة ذاته، ومحاسبتها، وتطهيرها، وتزكيتها. وحينما ينحرف ذلك الإنسان المتقي الورع، هنا تقع الكارثة، ولا يحصل ذلك إلّا في غياب المراقبة، والمحاسبة الذاتية، التي هي صورة من صور التزكية، وتطهير النفس.

يقول الرسول الأعظم (ص) : -

«ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل خيراً إستزاد الله منه، وإن عمل شراً إستغفر الله وتاب إليه»[١].

وقول الرسول (ص) أيضاً: -

«حاسبوا أنفسكم، قبل أن تُحاسِبوا»[٢].

* * *

يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رح) في تفسير الميزان:

«... وقد قدم الله التزكية في الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣] ، قدمها على تعليم الكتاب، أي بيان ألفاظ آياته، وتفسير ما أشكل من ذلك، ويقابله تعليم الحكمة، وهي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن، بخلاف ما في الآية التي تتحدث عن دعوة إبراهيم (ع)، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]. فالآية الأولى تصف تربية النبي محمد (ص) لمؤمني أُمته، والتزكية مقدمة في مقام التربية، على تعليم العلوم الحقة، والمعارف الحقيقية. وأما الآية الثانية، فإنها دعاء، وسؤال، يتحقق في ذريته هذه الزكاة، والعلم بالكتاب، والحكمة، والإتصاف من الزكاة الراجحة إلى الأعمال، والأخلاق»[٥].

١. ميزان الحكمة – ج٢ – ص٤٠٧
٢. ميزان الحكمة – ج٢ – ص٤٠٨
٣. سورة الجمعة، الآية: ٢
٤. سورة البقرة، الآية: ١٢٩
٥. الميزان في تفسير القرآن- المجلد ٢٨

وفي مواقع أخرى من آيات القرآن الحكيم، تجد الحكمة تأتي قبل تعليم النبي ما لم يكن يعلم، أو قبل تعليم النبي (ص) للناس ما لم يكونوا يعلمون، كما في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾، وكما في الآية رقم (١٢٩) من سورة البقرة، المتقدمة الذكر.

ويُفهم من ذلك أن الحكمة تفتح للإنسان آفاقا جديدة واسعة - إذا عمل بما يعلم -، منها أنه يكون عالماً، عارفاً، بأمور كان يجهلها، وعلى رأس تلك الأمور المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الحكيم. وهذه من ثمرات الحكمة، ونتائجها، وآثارها، لأن في الحكمة الخير الكثير، كما بينا سابقاً.

كذلك يجد المتأمل، أن الحكمة تأتي في موقع من القرآن الكريم، بعد «إيتاء الملك»، والذي يعبر عنه بالمصطلح الحديث بـ «السلطة» كما في الآية الكريمة التي تتحدث عن نبي الله داود - عليه السلام: —

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١].

اذاً ما قيمة القائد، أو الحاكم، أو الرئيس إذا لم يكن عارفاً، سياسياً حكيماً، أو إذا كان أُمياً جاهلاً؟!

وهل بإمكانه - وهو على هذه الحالة - أن يقود الأمة، والدولة، بشكل جيد؟!

وبالطبع فإن الرئيس الذي لا يمتلك المعرفة بأمور العصر وأحداثه، والحكمة في التعرف والسلوك والإدارة، لا يمكن له أن يقود الناس فضلاً على عدم قدرته على قيادته لهم بحكمة. وإذا قادهم، فإن قيادته تكون هوجاء متخبطة، تارة إلى ذات اليمين، وأُخرى إلى ذات الشمال، ليس لها برنامج مخطط، ولا إستراتيجية واضحة، ولا منهج ثابت، إذاً أين المنهج في ظل غياب الحكمة؟!

وهذه المشكلة يعاني منها العالم، وهي متمثلة في الأنظمة اللاشرعية الحاكمة.

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥١

والغريب أن هناك مجموعة لابأس بها من الحكام، تدعي الإسلام، ولكنها لم تستضئ بحكمة الإسلام في شيء، والأنكى من ذلك أنها توجه حرابها لجسم الإسلام، بإسم الإسلام نفسه. وهذا ما يفسر فشل تلك الأنظمة في خلق حالة من الوحدة، وحل القضايا التي تبتلي بها الأمة كالقضية الفلسطينية مثلا.

والحكمة لا تقتصر على الرئيس، والمسؤوليات الكبرى، وإنما تنسحب على أي مسؤولية إدارية، مهما صغرت، إذ لابد للإداري القائم عليها أن يكون على درجة من الحكمة في تعريف الأمور وإدارتها، لكي تحقق الهدف منها على أكمل وجه.

دعنا نضرب لذلك مثالا بسيطاً بالأسرة. فالزوج، والزوجة إذا كانا حكيمين في إدارة الأسرة، فإنها تنتظم أمورها في كافة المجالات. وإذا لم يكونا حكيمين في إدارة وتصريف أُمورها، فإنها قد تصاب مثلا: بسوء التربية والأخلاق في الأبناء، أو تصاب بمرض الإسراف الذي قد يؤدي بها الى الإفلاس والفقر، أو قد تصاب بسوء التغذية، نتيجة غياب الحكمة في تحقيق تغذية سليمة، الأمر الذي قد يؤدي الى الإصابة بأمراض أخرى، وما إلى ذلك من المشكلات، والآثار، والنتائج التربوية، والإجتماعية والإقتصادية، والثقافية، والتي تترتب على عدم إدارة العائلة بشكل حكيم .

وبديهة كلما إزدادت أهمية الأعمال وخطورتها، إزداد إحتياجها إلى الإدارة الأكثر حكمة. فعلى سبيل المثال: أن قرارا غير حكيم، يتخذه قائد عسكري لجيش، في موقف حرج، وخطير، قد يؤدي بهذا الجيش إلى الهزيمة، والإندحار، وهذه من البديهيات في العلم العسكري.

الحكمة ضرورة في تبليغ الرسالة.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

١. سورة النحل، الآية: ١٢٥

الدعوة إلى الرسالة الإسلامية، وتبليغها، ليست مسألة سهلة، كما أنها ليست مستحيلة، وإنما هي أمانة ممكنة، تستلزم من الإنسان أن يتحمل مسؤوليتها، وبذل الجهد، والتضحية من أجلها. كما أن إيصال الرسالة إلى الناس، لا يتم بشكل غوغائي أهوج، وإنما هو بحاجة إلى وسيلة عقلانية، وإسلوب فني منظم، وعلى جمع الأصعدة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الحكمة، أو يمكننا القول إنه منها.

ومن خلال التأمل في آيات القرآن الحكيم التي تتناول الأنبياء والرسل، وقصصهم، يجد المتأمل أن من أولويات النبوة، والرسولية، الحكمة. فما من نبي أو رسول إلّا وكان حكيماً، يتصف بالحكمة. وهذا أمر مفروغ منه، إذ أن الحكمة مقوم أساسي من مقومات شخصيات الأنبياء، لكي يكونوا قادرين على إفهام، وتعليم، وإقناع، وتبلغ، وهداية الأمم، والأقوام التي أرسلوا لها، لأن واجد الشيء يعطيه، وفاقده، لا يعطيه بالطبع. فمن يمتلك الحكمة يمكنه أن يبغ الرسالة، ومن لا يمتلكها لا يمكن له أن يبلغها.

وما من نبي، أو رسول إلّا وكان أخلاقياً، حكيماً، عالماً، عارفاً بالله، وبأمور عصره، وأحداثه، وبالوسائل، والأساليب المنظمة للدعوة الى الله. ومن هنا نجد أن الفقهاء يشترطون شرط المعرفة بالعصر، والأحداث في الفقيه المرجع. وهي مسألة هامة جداً، وتبلغ ذروة الأهمية إذا كان الفقيه متصدّ لقيادة الأمة، والدولة، سياسياً وهذا يقودنا إلى القول: أن الحكمة من لوازم شخصية الفقيه المرجع القائد المتصدي، لكي يكون قائداً بالفعل، ولكي تأتي توجيهاته، وقراراته حكيمة، موافقة للشرع، مرضية للرب، ممكنة للدولة الاسلامية، عارجة بها نحو الإستقلال، والتقدم، والإزدهار، حافظة لها من كيد الأعداء، والمستكبرين، ومن سياساتهم العدوانية الماكرة.

والحكمة كهدف - إن صح التعبير - هي المعارف الحقيقية من العقائد الحقيقية، والأخلاق الفاضلة التي يتضمنها القرآن _ ومنها على سبيل المثال: الإيمان بالحياة الآخرة - وإيصالها للناس، ونسف المعارف المزيفة، والخرافية في من يحملونها، وإيصال المواعظ للناس. والحكمة كوسيلة، هي أصالة الحق بالعلم والعقل، وهي الإسلوب الفني المنظم، أو الوسيلة الحكيمة، لتبليغ الرسالة، وللسلوك، والتصرف في الحياة بشكل عام.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية الكريمة الآنفة الذكر:

«لا شك في أنه يستفاد من الآية أن هذه الثلاثة: الحكمة والموعظة والمجادلة من طرق التكليم والمفاوضة، فقد أُمر النبي بالدعوة بأحد هذه الامور فهي من أنحاء الدعوة وطرقها وإن كان الجدال لا يعد دعوة بمعناها الأخص.

وقد فسرت الحكمة - كما في المفردات - بإصالة الحق بالعلم والعقل، والموعظة – كما عن الخليل - بأنه التنكير بالخير فيما يرق له القلب، والجدال – كما في المفردات - بالمفاوضة على سبيل المفاوضة والمغالبة.

والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة - والله أعلم - الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام، والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب، لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصرّ عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته.

فينطبق ما نكره تعالى من الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل.

غير أنه سبحانه قَيد الموعظة بالحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة، ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة وبالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه.

ولعل ما في ذيل الآية من التعليل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يوضح وجه التقييد، فمعناه أنه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال في دينه الحق، وهو أعلم بحال المهتدين فيه، فهو يعلم أن الذي ينفع في هذا السبيل هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الأحسن لا غير.

والإعتبار الصحيح يؤيد ذلك فإن سبيله تعالى هو الإعتقاد الحق والعمل الحق، ومن المعلوم أن الدعوة إليه بالموعظة مثلا ممن لا يتعّظ بما يعظ به، دعوة عملاً إلى خلاف ما يدعو إليه القول، والدعوة إليه بالمجادلة مثلاً بالمسلّمات الكاذبة التي يتسلمها الخصم لإظهار الحق إحياء لحق بإحياء باطل وإن شئت فقل: إحياء حق بإماتة حق إلا أن يكون الجدال على سبيل المناقضة.

ومن هنا يظهر أن حسن الموعظة إنما هو من حيث حسن أثره في الحق الذي يراد به بأن يكون الواعظ نفسه متعظاً بما يعظ ويستعمل فيها من الخُلق الحسن ما يزيد في وقوعها من قلب السامع موقع القبول فيرقّ له القلب ويقشعر به الجلد ويعيه السمع وتخشع له البصر.

ويتحرز المجادل مما يزيد في تهيج الخصم على الرد والعناد وسوقه إلى المكابرة واللجاج، وإستعمال المقدمات الكاذبة وإن تسلمّها الخصم إلا في المناقضة ويحترز سوء التعبير والأزراء بالخصم وبما يقدّسه من الإعتقاد والسبّ والشتم وأي جهالة أخرى فإن في ذلك إحياء للحق بإحياء الباطل أي إماتة الحق كما عرفت.

والجدال أحوج إلى كمال الحسن من الموعظة ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ولم يجز من المجادلة إلا التي هي أحسن:

ثم إن في قوله: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أخذاً بالترتيب من حيث الأفراد، فالحكمة مأذون فيها بجميع أفرادها، والموعظة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة والمأذون فيها منهما هي الموعظة الحسنة، والمجادلة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة ثم الحسنة إلى التي هي أحسن وغيرها، والمأذون فيها منها التي هي أحسن، والآية ساكتة عن توزيع هذه الطرق بحسب المدعوّين بالدعوة فالملاك في إستعمالها من حيث المورد حسن الأثر وحصول المطلوب وهو ظهور الحق.

فمن الجائز أن يستعمل في مورد جميع الطرق الثلاث وفي آخر طريقان أو طريق واحد حسب ما تستدعيه الحال ويناسب المقام.

ومنه يظهر أن قول بعضهم إن ظاهر الآية أن يجمع (ص) في دعوته بين الطرق

الثـلاث ليـس محلـه إذ لا دليـل عـلى لزوم الجمـع بينهـا بالنسـبة إلى كل مدعو وأما بالنسـبة إلى جمـع المدعوين فهـو حاصل.

وكـذا مـا نكـره بعضهم أن الطـرق الثلاث المذكـورة في الآية مُترتبة حسـب ترتب أفهام النـاس في إسـتعدادها لقبـول الحـق فمـن النـاس الخـواص وهـم أصحـاب النفـوس المشرقـة القويـة الإسـتعداد لإدراك الحقائـق العقليـة وشـديدة الإنجـذاب إلى المبادئ العاليـة وكثـيرة الأُلفـة بالعلـم واليقـين فهـؤلاء يدعـون بالحكمة وهـي البرهان.

ومنهـم عـوام وهـم أصحـاب نفـوس كـدرة وإسـتعداد ضعيـف. مـع شـدة أُلفتهـم بالمحسوسـات وقـوة تعلقهـم بالرسـوم والعادات قـاصرة على تلقّـي البراهين من غير أن يكونـوا معانديـن للحـق وهـؤلاء يدعـون بالموعظة الحسـنة.

ومنهـم أصحـاب العنـاد واللجـاج الذيـن يجادلـون بالباطـل ليدحضـوا بـه الحـق ويكابـرون ليطفئـوا نـور اللـه بأفواههـم رسـخت في نفوسـهم الآراء الباطلـة، وغلب عليهـم تقليـد أسـلافهم في مذاهبهم الخرافية لا ينفعهـم المواعظ والعبر، ولا يهديهم سـائق البراهـين وهـؤلاء هـم الذيـن أمـر بمجادلتهـم بالتي هي أحسـن.

وفيـه أنـه لا يخلـو مـن دقة لكـن لا ينتج إختصـاص كل طريق بما يناسـبه من مرتبة الفهـم فربمـا إنتفع الخـواص بالموعظـة والمجادلة، وربمـا إنتقمت العـوام وهم أُلفاء العـادات والرسـوم بالمجادلـة بالتـي هـي أحسـن، ولا دلالـة في لغـظ الآيـة عـلى مـا ذكـر مـن التخصيص»[1].

والآن لـكي نكتسـب الحكمـة مـن القـرآن، ونجعـل تصرفاتنـا حكيمـة، يلزمنـا إتبـاع القواعـد الآتية:

- إتخـاد القـرآن الحكيـم صديقـاً حميـماً لنـا، وقراءتـه قراءة خشـوع، وتطبيـق، وكأنـه يتنـزل علينا.
- تعلـم آياتـه، وتطبيـق مـا تأمرنـا بـه، وتنهانـا عنـه بـكل جديـة، وإخـلاص، ونيّـة صادقـة.

---

١. الميزان في تفسير القرآن- ج١٢- ص ١٧١- ٣٧٣

- جعـل الحكمـة منه لأنـه منبع الحكمـة ومحيطها، ففـي كل آية منه ألف حكمـة وحكمة.
- جعل علاقتنا بخالقنا سليمة، على ضوء القرآن وحكمته.
- تزكيـة أنفسـنا، ونطهرهـا، ونربيهـا، وننمّيهـا عـلى ضـوء حكمتـه وهـداه.
- التعامـل مـع الآخريـن إجتماعيـاً - وعـلى جميـع الأصعـدة - عـلى ضـوء ذلـك أيضـاً.
- جعـل القـرآن مرجعنا الذي نعـرض عليه أنفسـنا، وتصرفاتنا الفردية، والإجتماعيـة لـنرى أين نحن منـه، فنتبعه.
- التدبـر في آياتـه، فالتدبـر فيهـا يزيـل الرواسـب والحجـب النفسـية، ويكسـب الحكمـة.
- الإتعاظ والإعتبار به، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه.
- اسـتثمار آفـاق العلـم، والموعظـة الحسـنة، والمجادلـة بالتـي هـي أحسـن، وسـيلتنا العلميـة والتنظيميـة في الدعـوة إلى اللـه، وتبليـغ رسـالته، وفي سـلوكنا وتصرفنـا الفـردي والإجتماعـي.

آيات قرآنية، في الحكمة:

قال تعالى في القرآن الحكيم:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُـمْ النِّسَـاءَ فَبَلَغْـنَ أَجَلَهُـنَّ فَأَمْسِـكُوهُنَّ بِمَعْـرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُـنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِـكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَـدُوا وَمَـنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ فَقَـدْ ظَلَمَ نَفْسَـهُ وَلا تَتَّخِـذُوا آيَاتِ اللَّـهِ هُـزُواً وَاذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ عَلَيْكُـمْ وَمَـا أَنـزَلَ عَلَيْكُـمْ مِـنْ الْكِتَـابِ وَالْحِكْمَـةِ يَعِظُكُـمْ بِـهِ وَاتَّقُـوا اللَّـهَ وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّـهَ بِـكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـمٌ﴾[1].

١. سورة البقرة، الآية: ٢٣١

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[1].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[3].

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[4].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[5].

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾[6].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[7].

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٤٨
٢. سورة آل عمران، الآية: ٨٠
٣. سورة النساء، الآية: ٥٤
٤. سورة النساء، الآية: ١١٣
٥. سورة المائدة، الآية: ١١٠
٦. سورة الإسراء، الآية: ٣٩
٧. سورة لقمان، الآية: ١٢

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[1].

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2].

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[4].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[5].

﴿وَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[7].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[8].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[9].

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[10].

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[11].

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٣٤
٢. سورة ص، الآية: ٢٠
٣. سورة الزخرف، الآية: ٦٣
٤. سورة القمر، الآية: ٥
٥. سورة البقرة، الآية: ٣٢ – ٣٣
٦. سورة آل عمران، الآية: ٦
٧. سورة الأنعام، الآية ١٨
٨. سورة الأنعام، الآية ٧٣
٩. سورة الأنعام، الآية ٨٣
١٠. سورة يونس، الآية: ١
١١. سورة النور، الآية: ١٠

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[١].

﴿الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٢].

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٣].

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً. وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾[٤].

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٥].

---

١. سورة النمل، الآية: ٦

٢. سورة لقمان، الآية: ٢

٣. سورة الزخرف، الآية ٣ - ٤

٤. سورة النساء، الآية: ١٢٩ - ١٣٠

٥. سورة هود، الآية: ٤٥

«الحكمة» في السنة الشريفة

تقدم فيما سبق أن القرآن كتاب الحكمة، وأن من يؤمن بالمعارف الحقيقية التي يتضمنها، ويلتزم بتعاليمه، وأخلاقياته، يصبح إنساناً حكيماً.

وسنة الرسول الأعظم (ص)، التي هي أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وروايات أئمة أهل البيت (ع)، هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهي المفصل، والشارح لما أجمل في القرآن. وهي صادرة عن الرسول الحكيم الذي هو مرتبط بالله الحكيم، عن طريق الوحي، وصادرة أيضاً عن الأئمة (ع) الذين هم الإمتداد الطبيعي للوحي، والرسول (ص)، فهي حكيمة أيضاً، وبالتالي فإن إلتزام الإنسان بالأحاديث، والروايات الشريفة، في الواقع، تجعل منه إنساناً، حكيماً مستقيماً في هذه الحياة، وعليه يكون من المهم للإنسان، أن يتأمل، ويتدبر في الأحاديث، والروايات الشريفة، لكي يطبقها، ويستلهم منها منهاجاً، ودروساً، وعبراً في حياته.

الحكمة، والمعرفة، والتفقه في الدين.

عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله – عزَّ وجلَّ - :

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾.

فقال: «إن الحكمة، المعرفة، والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم»[1].

ويقول الرسول الأعظم (ص): «لكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه»[2].

ويقول (ص): «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[3].

في غياب المعرفة، يبقى الإنسان يعيش في ظلمات دامسة، لا يدري إلى أين يتجه، وكيف يسير، فالمعرفة هي بمثابة النبراس الذي يستطيع به الإنسان إهتداء

١. بحار الأنوار – ج ١ – ص ٢١٥
٢. المصدر السابق – ج ١ – ص ٢١٦
٣. المصدر السابق – ج ١ – ص ٢١٦

الطريق. إن الأمية تضرب على الإنسان ستاراً من الجهل، والتخلف، وتجعله لا يدرك حتى أبسط الأمور، ولا يعرف كيف يتصف في مختلف مجالات الحياة، وبالتالي يقع في الكثير من الأخطاء، والزلات.

ومن هنا تجد في الإسلام، أن «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومسلمة»، ونجد الأمر بطلب العلم، مهما كان مكانه نائياً، «اطلبوا العلم، ولو في الصين»، ونجد الحث على الإستمرارية، والديمومة في طلب العلم، «إطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

وعلى رأس المعارف التي تعطي للإنسان الحكمة في الحياة، التفقه في الدين. ذلك لأن التفقه في الدين، يعطي الإنسان صورة متكاملة عن أحكام الله، وأوامره، ونواهيه، وحدوده، وعن المعاملات مع الناس، من عقود، وإيقاعات، ومواريث، وما شابه ذلك. ويفتح آفاق المعارف الأخرى بالنسبة له.

ومن الطبيعي أن من يتفقه في الدين تتكشف له الكثير من الحقائق، والمجهولات. وإذا بُني التفقه على أساس التقوى، والخشية من الله، والعزم، والتصميم على تطبيق أحكام الله، ويصبح الإنسان حكيماً، من الناحية النظرية، والعملية. ولضرورة التفقه، أوجب الفقهاء على الإنسان المكلف، أن يتعلم المسائل الشرعية التي يبتلى بها في حياته، ليس في مجال الطهارة، والصلاة، والصوم، فحسب، وإنما في كافة أقسام الفقه، وفروعه. فعلى سبيل المثال، التجارة، فالتاجر عليه أن يتعلم المسائل التي تتعلق بالتجارة - فضلاً عن المسائل الضرورية الأخرى - وإلا وقع في دائرة الربا، والربح غير مشروع، وغير ذلك.

الحكمة وطاعة الله، ومعرفة الإمام.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

سئل الإمام الباقر (ع) عن تفسير الآية الكريمة: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾.

فقال الإمام (ع): «هي طاعة لله، ومعرفة الإمام» [2].

١. سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٤.

وكثيرة هي الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تأمر الإنسان بإطاعة الله، والرسول، وأولى الأمر الذين هم أئمة أهل البيت (ع) الإثني عشر، أولهم علي بن أبي طالب (ع)، وآخرهم محمد بن الحسن، المهدي، المنتظر (عج)، الذي غاب الغيبة الصغرى، ومدتها سبعون عاماً، وكان له فيها نواب خاصون، وهذه تسمى «النيابة الخاصة»، ثم غاب الغيبة الكبرى التي لا زالت متواصلة، إلى أن يأذن الله له بالخروج - ولم يحدد له فيها نواباً خاصين، بل ترك مسألة النيابة للفقهاء العدول، الجامعين للشرائط، وهذه تسمى «النيابة العامة»، وأمر الناس بتقليد هم.

يقول الإمام الحجة (عج) في شأن النيابة العامة:

«من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه» [1].

وبما أن الإسلام قد أوضح لنا نظريته في الإمامة، والقيادة، وركز في كثير من آياته على الطاعة، وأهميتها وضرورتها، فعلى ذلك تكون الطاعة مبدأ أساسيا للسير وراء القيادة الشرعية، إذ لا تستطيع هذه القيادة أن تفعل شيئا بدون إطاعة القاعدة لها، وكما يقول الإمام علي (ع): «لا رأي لمن لا يُطاع»[2]. ومن هنا فالطاعة قيمة ضرورية، تعرج بالإنسان إلى مدارج التكامل والكمال.

وطاعة الله، هي إلتزام منهجه، وطريقه - دون الحيدان عنه - كما التزم به الرسول (ص)، والأئمة (ع)، وطاعة الله تعني أيضاً إطاعة من أطاعه، وعصيان من عصاه.

ومن هنا فلكي تكون حكيماً في حياتك، لابد أن تعرف إمامك، وقيادتك، ذلك لأن القيادة حاجة ضرورية، وسنة كونية، والدليل على ذلك أن لهذا الكون قائد، ومدبر، وهو الله، وما من مشروع في الحياة، كبر ذلك المشروع، أم صغر، إلا ويحتاج إلى مدبر، وموجه وقائد. والإمام هو القيادة الموجهة للإنسان في طريق

---

١. تحرير الوسيلة - ج ١ - ص ٥
٢. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٢٢١

الله. ومن تكاملية الدين الإسلامي، الذي هو دين الحكمة، أنه لم يترك الإنسان بلا إمامة، وقيادة، بل أرسل له الأنبياء والرسل، لكي يهدوه إلى الحق، وكان خاتمهم محمد (ص)، ثم الأئمة الإثنا عشر (ع) مِن مَن بعده. ثم بعد ذلك النواب الخاصين[1]، وبعدهم النواب العامين، وهم الفقهاء الجامعون للشرائط. وإذا أدركنا الدور الخطير للقيادة الإسلامية، يتبين لنا أن معرفة الإمام مقوم من مقومات الحكمة، إذ أن الإنسان بلا إمام، وبلا قيادة، كسفينة بلا ربان، لا تدري إلى أين تتجه، ولا كيف تسير. ومن هنا جاء في الحديث الشريف:

«من مات، وليس في رقبته بيعة لإمام، مات ميتة جاهلية»[2].

الحكمة، وإجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار.

سئل الإمام الباقر (ع) عن قول الله - تعالى - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ. وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ...﴾ :فقال: «معرفة الإمام، وإجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»[3].

كيف تكون الحكمة هي إجتناب الكبائر؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا أن نتساءل:

ما هي الكبائر؟

الكبائر هي الذنب، والمعاصي الكبيرة، وذلك مثل: الزنا، واللواط، والإستمناء، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الميتة، وأكل لحم الحيوان المحرم. والغيبة والإستماع إليها، والنميمة، والكذب، والكذب على الله والرسول أو الإمام، والظلم، والغصب بالباطل والخيانة، وإشاعة الفاحشة، والإحتكار، والإعتراض على الله سبحانه وفي القضاء والقدر، والبدعة في الدين، والتكبر على عبادة الله سبحانه، وترك الصلاة الواجبة، وترك أي واجب من الواجبات الأخرى، والتكذيب بشيء من القرآن والأحكام الشرعية، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

١. نواب الإمام المهدي الخاصين هم: ١- عثمان العمري، ٢- محمد العمري، ٣- الحسين بن روح. ٤- على السمري. للإطلاع على التفاصيل كتاب «كلمة الإمام المهدي».

٢. بحار الأنوار – ج ٢٣ – ص ٩٤ وفيه «عنقه» بدل «رقبته».

٣. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٢٢١

وتحليل الحرام، وتحريم الحلال، والتجسس على العيوب، والحكم بما لم ينزل الله، وخطبة المرأة ذات البعل أو في العدة، والخروج على الإمام عليه السلام، وعقوق الوالدين، والسرقة، وتزويج الباطل، وإماتة الحق، والعداء مع المؤمن، والسب مطلقاً وخصوصاً بالنسبة لله - عز شأنه - والنبي (ص) والإمام (ع) والدين والكتاب المذهب وسائر المقدسات، وأخذ الربا وإعطائه، وقطع الطريق، والرمي بالزنا، والسعي في خراب المساجد، والسحر، وسفور النساء وخروجهن مكشفات، والشرك بالله، والغش، واليمين الفاجرة، والفساد في الأرض، والقيادة (قيادة الناس للبغاء والفجور)، والإضلال عن سبيل الله، والفرار من الزحف، والتكسب بما يحرم التكسب به، وكتمان الشهادة. ويلزم للمرء أن يطلع على الكبائر، في الرسائل العملية.

وأكبر الكبائر تلك التي أوجب الله عليها الخلود في النار، كالقتل العمد.

يقول تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[1].

والكبائر تترك آثاراً سيئة وخطيرة على الفرد من جهة، والمجتمع من جهة ثانية، وتغضب الله أشد الغضب من جهة ثالثة. وبإجتناب الكبائر يحقق الإنسان ما يلي:

- تطبيق مبدأ تقوى الله، وخشيته، ومبدأ وجوب إطاعته.
- صيانة النفس من الآثار السلبية الخطيرة الكبائر، والفردية منها والإجتماعية.
- صيانة المجتمع من هذه الآثار.
- تحقيق مرضاة الرب.
- الحكمة.

١. سورة النساء، الآية: ٩٣

وبما أن الحكمة هي المعرفة، ووضع الشيء في موضعه، فإجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار هو تطبيق لمعرفة حقة، ووضع للشيء في موضعه بالتأكيد. وعليه فالحكمة تقود إلى اجتناب الكبائر، والحكيم هو من يجتنبها، ويعمل على أن لا يصرّ على الصغائر (الذنوب الصغيرة)، أو لا يرتكبها.

يقول تعالى في القرآن الحكيم:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ [١] إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾[٢].

ويقول الإمام الصادق (ع):

«الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة[٣]، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وكل ما أوجب الله عليه النار»[٤].

حد الحكمة:

ما هو الحد؟

الحد هو الحاجز بين شيئين، وهو منتهى الشيء وإطاره، وجمعه حدود، والمحدود هو المعين بحدوده. فحد الصورة هو الإطار المحدّد لها، والذي يميزها، ويحجزها عن غيرها. وبناءً على ذلك فحدّ الحكمة هو الحاجز بينها وبين اللا حكمة، وهو إطارها المحدّد لها.

يقول الإمام علي (ع): «حد الحكمة: الإعراض عن دار الفناء، والتولّه بدار البقاء»[٥].

١. الذنوب الصغيرة، ويعتبر الإصرار عليها من الكبائر.
٢. سورة النجم، الآية: ٣١ – ٣٢
٣. المقصود ترك الدين
٤. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ٤٦٠
٥. المصدر السابق – ج ٢ – ص ٤٩٥

لـو تصوّرنـا الحكمـة، حديقة، ولهذه الحديقة سـياج يحددهـا، ويحجزها ويميزه عن غيرهـا، فـكل مـا هـو واقـع في داخـل هـذا السـياج هو مـن ضمـن الحديقـة، وجزء منهـا، وكل مـا هـو خارجـه ليـس منها. وعـلى ذلك يمكن القـول: إن كل مـا هو واقع ضمـن حـدود الإعـراض عـن دار الدنيـا – باعتبارهـا مزرعة للآخـرة – والتولّـه بالدار الآخـرة، هـو مـن الحكمـة، وكل مـا هو خـارج عن هذه الحـدود، ليس مـن الحكمة في شيء.

فلـكي تكتسـب الحكمـة وتصـل إليهـا يجـب أن تكـون ممارسـاتك في الحيـاة ضمـن هـذه الحدود.

رأس الحكمة:

الـرأس مـن الـشيء هـو مقدمتـه، وأولـه، وأيضـاً أعـلى جـزء فيـه، ففـي الكائنـات الحيـة العموديـة – كالإنسـان – يكـون الـرأس أعـلى جـزء فيهـا، بينـما في الكائنـات الحيـة شـبه الأفقيـة، كالخيـول، والجـمال، والبقـر، والغنـم والقـرود، و...، والأفقيـة كالزواحـف، مثـل الـوزغ، والتمسـاح، والحـشرات، مثـل النمـل، والنحـل، والذبـاب، و...، يكـون الـرأس في أولهـا، ومقدمتهـا. ويفهـم أيضـاً مـن الـرأس أنه الجـزء القائد، والمدبـر للشيء.

فـرأس الحكمـة يُفهـم منـه أنـه مقدمـة الحكمـة، أو أولهـا، أو أنه أعـلى مرحلة من مراحلهـا، أو أنـه الـشيء المـؤدي والقائـد إليهـا، أو أنـه الرئيـس والقائـد لهـا. ويتبين مـن خـلال الأحاديـث الشريفـة والروايـات، أن رأس الحكمـة هـو مقدمتهـا، وأولها، وإن كانـت مخافـة اللـه هـي مقدمـة الحكمـة، وأعـلى مرحلـة مـن مراحلهـا أيضـا، فعـلى سـبيل المثـال: هناك حديـث شريـف، يعتـبر الرفق رأس الحكمة. ومنه نسـتنج أن الرفـق لا يمثـل أعـلى مرحلـة مـن مراحـل الحكمة، وإنمـا يمكن أن يكـون مقدمة، ومدخـلاً لها.

ومن رؤوس الحكمة التي تذكرها الأحاديث الشريفة والروايات ما يلي:

- مخافة الله.
- خشية الله.

- حفظ الدين.
- طاعة الله.
- لزوم الحق، وطاعة المحق.
- الرفق.
- تجنب الخدع.

الحكمة، ضالة المؤمن.

يقول أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (ع):

«الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»[1].

هل حدث ذلك لك أن أضعت شيئاً ثميناً؟

إذا كان كذلك، فلا شك إنك كنت تبحث عن الشيء المفقود بلهفة، ودقة، أملاً في الحصول عليه. وهكذا حال الحكمة بالنسبة للإنسان المؤمن، فهي ضالته، أي شيئه المفقود الذي يسعى وراءه، ويبحث عنه بإهتمام بالغ، كما تسعى الأم في البحث، وراء طفلها المفقود!

وليس مهماً عند من تكون الحكمة وكيف وأين تكون، بل المهم الحكمة ذاتها، وهذا ما يدل عليه قول الإمام. لأن الحكمة أمر عقلاني. ومنطقي، بصرف النظر عن الشخص، أو الجهة التي إنطلقت منها، حتى قيل: خذ الحكمة، ولو من رؤوس المجانين!

وهناك روايات متعددة في هذا المجال، من ضمنها قول الإمام علي (ع):

«خذ الحكمة أنى كانت، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق، فتلجلج في صدره، حتى تخرج، فتسكن إلى صوابها في صدر المؤمن»[2].

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٢

٢. المصدر السابق - ص٤٩٢

ويقول (ع):

«الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها، وأهلها»[١].

ويقول (ع): «الحكمة ضالة كل مؤمن، فخذوها ولو من أفواه المنافقين»[٢].

ويقول السيد المسيح (ع):

«لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران، في ليلة مظلمة، لأستضأتم به، ولم يمنعكم منه ريح نتنه، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه، ولا يمنعكم سوء رغبته فيها»[٣].

ويقول الإمام زين العابدين (ع):

«لا تحقر اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة فإن أبي حدثني قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: إن الكلمة من الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها، حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحق بها، فيتلقفها»[٤].

ويقول الرسول الأعظم (ص):

«كلمة الحق ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[٥].

وهنا نقطة هامة من الضروري ذكرها، فيما يرتبط بأخذ الحكمة من الآخرين أنى كانوا، وهي: أن لا يكون أخذ الحكمة، والأسلوب المؤدي إلى أخذها على حساب المبادئ. أي أن لا تكون الحكمة مناقضة للشرع الإسلامي، وإلا فليست هي بحكمة.

وهذه مسألة ترتبط بالإستفادة من علوم الشرق، والغرب، وغيرهما، ومن إنجازاتهم الحديثة في جميع المجالات. فالإسلام يدعونا إلى الإستفادة من علوم الآخرين، وإنجازاتهم، بل حتى من علوم الأعداء وتجاربهم، إلا أن أمراً هاماً

١. المصدر السابق - ص ٤٩٢
٢. المصدر السابق - ص ٤٩٢
٣. المصدر السابق - ص ٤٩٢
٤. المصدر السابق - ص ٤٩٢
٥. المصدر السابق - ص ٩٢

يجب أن ننتبه إليه، وهو أن لا تكون كلمة الإمام علي (ع)، «خذ الحكمة أنى كانت ...»، مبرراً لنا لأن ندخل إلى الإسلام ما ليس فيه، وندعي أن ذلك من الإسلام – وهو مناقض له – ومن باب أخذ الحكمة أنى كانت. وبكلمة: أن شرط أخذ الحكمة من الآخرين، أن تكون الحكمة، يقرها الإسلام والعقل، وإلا فهي ليست بحكمة، ودخيلة على الإسلام.

فما أجمل الإنسان، وهو يبحث عن الحكمة! وما أغنى أحاديث الرسول (ص)، وروايات الأئمة (ع)، بالحكمة!

والآن فلكي نكتسب الحكمة من السنة، ونجعل تصرفاتنا وأعمالنا في الحياة حكيمة ناجحة، يلزم لنا إتباع القواعد التالية:

- أن نتخذ السنة النبوية الشريفة صديقة حميمة لنا – كما القرآن – ونقرأها قراءة تطبيق، عمل.
- أن نتعلم الأحاديث، والروايات الشريفة، ونطبق ما تأمرنا به، وتنهانا عنه، بجدية، وإخلاص، ونية صادقة.
- أن ننهل الحكمة منها، لأنها شارحة القرآن، ومفصلة لما أجمل فيه، وكل حديث يفيض بالحكمة.
- أن تكون علاقتنا بالرسول الأعظم (ص)، وبالأئمة (ع)، علاقة التلميذ بالأستاذ، والمقود بالقائد، لكي نتعلم من حكمتهم، ونكتسب منها.
- أن نطهر أنفسنا ونربيها على ضوء السنة وحكمتها.
- أن نتعامل مع الناس - وفي جميع المجالات - على ضوئها.
- أن تكون المرجع الآخر لنا، نعرض عليها أنفسنا، وتصرفاتنا الفردية، الإجتماعية، فنسير على هديها.
- أن نتأمل فيها، ونستنتج في إطارها لا خارجاً عنها، والتأمل فيها، والإستنتاج منها يكسب الحكمة.
- أن نتعظ بها، ونعتبر، ونتأدب بآدابها، ونتخلق بأخلاقها.

- أن نستثمر آفاق العلم، والمعرفة التي تفتحها لنا، وننهل منها.
- أن نجعل المعرفة خلقنا في الحياة، ونتفقه في ديننا، فالفقه عماد الدين.
- أن نطيع الله دائماً، وأينما كنا، ونعرف إمامتنا وقيادتنا.
- أن نتجنب الكبائر التي أوجب الله عليها النهار، وأن لا نستخف الذنوب مهما صغرت.
- أن يكون شوقنا إلى الدار الآخرة، وإعراضنا عن الدنيا مع أخذ النصيب منها، خطنا الذي نسير عليه في حياتنا، فلا نتجاوزه.
- أن تكون مخافتنا لله وسيلتنا في إطاعته، وإجتناب نواهيه.
- أن تكون الحكمة دائماً ضالتنا المفقودة التي نبحث عنها.

أحاديث شريفة في الحكمة:

«الحكمة رياض النبلاء، العلوم نزهة الأدباء»[١]. الإمام علي (ع).

«الحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر على اللسان»[٢]. الإمام علي (ع).

«من عرف الحكمة، لم يصبر على الإزدياد منها»[٣]. الإمام علي (ع).

«كلمة الحكمة يسمعها المؤمن، خير من عبادة سنة»[٤]. الرسول الأعظم (ص).

من وصية لقمان لإبنه:

«يا بني! تعلم الحكمة، تشرف بها، فإن الحكمة تدل على الدين، وتشرف العبد الحر، وترفع المسكين على الغني، وتقدم الصغير على الكبير»[٥].

«أول الحكمة ترك اللذات، وآخرها مقت الفانيات»[٦]. الإمام علي (ع).

---

١. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩٠
٢. المصدر السابق – ص ٤٩٠
٣. المصدر السابق – ص ٤٩٠
٤. المصدر السابق – ص ٤٩١
٥. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩١
٦. المصدر السابق – ص ٤٩٥

«حد الحكمة الإعراض عن دار الفناء، والتوله بدار البقاء»[١]. الإمام علي (ع).

«مـن الحكمـة أن لا تنـازع مـن فوقك، ولا تسـتذل مـن دونك، ولا تتعاطـى ما ليس في قدرتـك، ولا يخالـف لسـانك قلبـك، ولا قولك فعلـك، ولا تتكلم فيـما لا تعلم، ولا تـترك الأمـر عند الإقبـال، وتطلبه عنـد الإدبار»[٢]. الإمـام علي (ع).

«... ومن حكمته (يعني المرء)، علمه بنفسه»[٣]. الإمام علي (ع).

«حفظ الدين ثمرة المعرفة، ورأس الحكمة»[٤]. الإمام علي (ع).

«رأس الحكمة، لزوم الحق، وطاعة المحق»[٥]. الإمام علي (ع).

«رأس الحكمة، مخافة الله»[٦]. الإمام علي بن الحسين (ع).

«خشية الله، رأس كل حكمة»[٧]. الرسول الأعظم (ص).

«إن أشرف الحديث ذكر الله، ورأس الحكمة طاعته»[٨]. الإمام علي (ع).

«إن الرفق رأس الحكمة»[٩]. الرسول الأعظم (ص)

«غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة»[١٠]. الإمام علي (ع).

«غير منتفع بالعظات، قلب متعلق بالشهوات»[١١]. الإمام علي (ع).

«إن الحكماء ضيعوا الحكمة لمّا وضعوا عند غير أهلها»[١٢]. الإمام علي (ع).

١. المصدر السابق – ص ٤٩٥
٢. المصدر السابق – ص ٤٩٥
٣. المصدر السابق – ص ٤٩٥
٤. المصدر السابق – ص ٤٩٦
٥. المصدر السابق – ص ٤٩٦
٦ . المصدر السابق – ص ٤٩٦
٧. المصدر السابق – ص ٤٩٦
٨. المصدر السابق – ص ٤٩٦
٩. المصدر السابق – ص ٤٩٦
١٠. المصدر السابق – ص ٤٩٩
١١. المصدر السابق - ص
١٢. المصدر السابق - ص

«واضـع العلـم عنـد غـير أهلـه كمقلـد الخنازيـر، الجوهـر، واللؤلـؤ، والذهـب»[١]. الرسـول الأعظـم (ص).

«إن الحكمة نور كل قلب»[٢]. السيد المسيح (ع).

«من خزائن الغيب تظهر الحكمة»[٣]. الإمام علي (ع).

«من عُرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة»[٤]. الإمام علي (ع).

قيل للقمان ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال:

«لا أتكلف ما قد كفيته، ولا أضيع ما وليته»[٥].

«وأي كلمـة حكـم جامعـة أن تحـب للنـاس مـا تحـب لنفسـك، وتكره لهم مـا تكره لهـا»[٦]. الإمـام علي (ع).

«كاد الحكيم أن يكون نبياً»[٧]. الرسول الأعظم (ص).

«الحكيم يشفي السائل، ويجود بالفضائل»[٨]. الإمام علي (ع).

«الحكـماء أشرف النـاس أنفسـاً، وأكثرهم صبراً، وأسرعهم عفواً، وأوسـعهم أخلاقاً»[٩]. الإمام علي (ع).

«لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»[١٠]. الرسول الأعظم (ص).

«أعيا ما يكون الحكيم إذا خاطب سفيهاً»[١١]. الإمام علي (ع).

---

١. المصدر السابق - ص
٢. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩٠
٣. المصدر السابق – ص ٤٩١
٤. المصدر السابق – ص ٤٩١
٥. المصدر السابق – ص ٤٩١
٦. المصدر السابق – ص ٤٩٥
٧. المصدر السابق – ص ٤٩١
٨. المصدر السابق – ص ٤٩١
٩. المصدر السابق – ص ٤٩١
١٠. المصدر السابق – ص ٤٩١
١١. المصدر السابق – ص ٤٩١

«إن كلام الحكيم إذا كان صواباً كان دواءاً، وإذا كان خطأً كان داءاً»[١]. الإمام علي (ع).

عن الشعبي قال: تكلم أمير المؤمنين (ع) بتسع كلمات، ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة. وقطعن جميع الآنام عن اللحاق بواحدة منهن. ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب.

فأما اللاتي في المناجاة فقال:

«إلهي! كفى بي عزاً أن أكون عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب».

وأما اللاتي في الحكمة فقال:

«قيمة كل امرئ ما يحسنه، وما هلك إمرء عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه».

واللاتي في الأدب فقال:

«أمنن على من شئت تكن أميره، وإحتج إلى من شئت تكن أسيره، وإستغن عمن شئت تكن نظيره»[٢].

«إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن هو فضل»[٣]. الإمام الكاظم (ع).

«الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمرة الصدق، وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أنعم، وأعظم، وأرفع، وأجزل، وأبهى من الحكمة. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من أستخلصته لنفسي وخصصتهُ بها، والحكمة هي الثبات، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله تعالى»[٤]. الإمام الصادق (ع).

١. المصدر السابق – ص ٤٩١
٢. بحار الأنوار – ج ٧٧ – ص ٤٠٠
٣. بحار الأنوار – ج ١ – ص ٢١١
٤. المصدر السابق – ص ٢١٥

الحكمة والعلم وعلاقتهما بالعمل

يقول الإمام علي (ع):

«العلم ثمرة الحكمة والصواب من فروعها».

«بالعلم تعرف الحكمة».

سبق أن عرفنا الحكمة، وذكرنا أن من أحد تعاريفها، العلم.

فما هو العلم؟

تعريف العلم:

إن أصل كلمة العلم من الفعل عَلِمّ، أي حصلت له حقيقة العلم، وعرف، وتيقن، والعلم - وجمعها علوم - هو إدراك الشيء بحقيقته، وهو اليقن، والمعرفة.

ولكن، أي علم، حكمة؟

وهل كل حكمة، علم؟

وما هي العلاقة بينهما؟

وللإجابة على ذلك، يلزم أن نتعرف بإختصار على بعض أنواع العلم، أو مجالاته، لأن كلمة العلم، كلمة فضفاضة واسعة، لابد للإنسان أن يفقه حدودها، ونطاقها، لكي يكون على بينة من أمره، ولكي لا يكون واقعاً في دائرة الغموض، والإبهام، وعدم الإستيعاب لحقيقة كلمة العلم.

من أنواع العلم، أو مجالاته.

للعلم أنواع منها:

العلوم الدينية: وهي العلوم الشرعية، التي تذكر فيها الأحكام الشرعية العملية، والإعتقادية، كعلم الكلام، وعلم الفقه.

العلوم الإلهية: وهي العلوم التي تبحث عن الوجود المطلق، من حيث هو، عما

يتعلـق بـه بأمـور غـير مادية، كالواجـب، والممكـن، والعِلـة، والمعلـول، ويدخل فيها البحـث في الأرواح، وفي اللـه، ويُسـمى بالعلـم الأعـلى، والفلسـفة الأُولى، ومـا بعـد الطبيعيـة (الميتـا فيزيقا).

العلـوم الحقيقيـة: وهـي العلـوم التـي لا تتغـير بتغـير الملـل، والأديـان، كعلـم الكلام، وعلـم المنطق.

العلـم اللّـدني: وهـو مـا تعلمـه العبـد مـن اللـه بالوحـي مـن غـير واسـطة، وهـو مقصـور عـلى الأنبيـاء، والرسـل.

العلـوم التعليمية:وهي العلوم الرياضية، كالحِسـاب، والجبر، والهندسـة، والمسـاحة، والفلك، و ....

العلم النظري: وهو العلم الذي لا يتعلق بكيفية عمل.

العلـم العمـلي: وهـو العلـم المتعلـق بكيفيـة عمـل، فتُطبـق فيـه قواعـد الفنـون، والعلـوم، ومبادؤهـا.

العلوم الآلية: وهي آلة لتحصيل غيرها، كعلم المنطق، والنحو.

العلـوم العربيـة: وهـي العلـوم المتعلقة باللغـة العربية، كالصرف، والنحـو، والمعاني، والبيـان، والبديع، وتسـمى بعِلم الأدب.

العلوم المدونة: وهي العلوم التي دُونت في الكتب.

العلوم المتعارفة: وهي المقدمات البينة بنفسها في العلوم المدونة.

علـم الفلـك: وهـو العلـم الـذي يبحـث في مواقـع الأجـرام السـماوية، وأبعادهـا، ومادتهـا، وشـكلها، ومُـدة دورانهـا.

علم النفس (السيكولوجيا): وهو العلم الذي يبحث في نفس الإنسان.

علم الجيولوجيا: وهو العلم الذي يبحث في طبقات الأرض.

علم الحياة (بيولوجيا): وهو العلم الذي يبحث في الكائنات الحية.

علم الإجتماع (سوسيولوجيا): وهو علم دراسة المجتمع.

علـم وظائـف الأعضـاء (فيزيولوجيـا): وهـو العلـم الذي يبحـث في وظائـف أعضاء الكائنـات الحية.

علـم الكيميـاء: وهـو العلـم الـذي يبحـث في التفاعـلات الكيميائيـة الناتجـة عـن تفاعـل مـواد مـع مـواد أخـرى.

علم الطبيعة (الفيزياء): وهو العلم الذي يبحث في الظواهر الطبيعية.

علـم الميكانيـكا: وهـو العلـم الذي يبحـث في حركة الأجسـام، والقوى المؤثـرة عليها. وهو على قسـمين:

علم الديناميكا: وهو علم يبحث في الأجسام المتحركة.

علم الإستاتيكا: وهو علم يبحث في الأجسام الساكنة.

وهنـاك الكثـير جـداً من أنواع العلوم التي لا يتسـع المجال لذكرها، ولقد سـاعدت فكرة التخصـص العلمـي، وفكـرة الربـط بين علمين، وفكـرة أخذ كل فرع مـن علم معين على حدة، والتوسـع فيه، سـاعدت عـلى ظهور فروع علمية تخصصيـة كثيرة جدا.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: علم الكيمياء، هناك:

- الكيمياء الطبيعية
- الكيمياء العضوية
- الكيمياء غير العضوية
- و...

وعلم النفس، فهناك:

- علم النفس التربوي.
- وعلم النفس الإجتماعي.
- وعلم النفس الحربي.
- وعلم النفس الصحي.
- و...

العلاقة بين العلم والحكمة:

نعود فنتساءل:

إذا كانت الحكمة هي العلم، والمعرفة، فأي علم هو الحكمة؟

وما هو المقصود من كلمة العلم ومشتقاتها، الواردة في القرآن الحكيم، والسنة النبوية، وروايا أئمة أهل البيت (ع)؟

هل هو علم المعارف الإلهية كالإعتقادات الحقة، والأخلاق الفاضلة، والأحكام الفرعية التي يتضمنها القرآن الحكيم، وعلم التفقه في الدين فقط، أم يشمل أيضاً العلوم الأخرى جميعاً، وكل معرفة يؤيدها العقل وتنفع الإنسان في حياته

وللإجابة على هذه الأسئلة، يلزم في البداية ذكر ما يلي:

تبين مسبقاً بأن من تعاريف الحكمة، العلم، المعرفة. وبما أن من تعاريف العلم أنه المعرفة، والتيقن، فيكون العلم (الصحيح من العلم) حكمة، بإعتباره وضع للشيء في موضعه، وتكون الحكمة علماً، بإعتبارها وضع للشيء في موضعه أيضاً.

أما أيهما الأصل، هل هو الحكمة أم العلم؟ فيتبين من كلمتي الإمام علي (ع) الآنفتي الذكر، أن كليهما قد يكون أصلاً وثمرة للآخر. فكما أن العلم ثمرة الحكمة، فالحكمة تعرف بالعلم أيضا، والدليل على ذلك، انه كم من حكم أثمرت، وأنتجت علوماً، وكم من علوم تمخض عنها حكم.

يقول تعالى في القرآن الحكيم:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

حقيقة رئيسة:

يقول القرآن الحكيم:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

١. سورة الزمر، الآية: ٩

٢. سورة النحل، الآية: ٨٩

ويقول الإمام الباقر (ع):

«إن الله لم يدع شيئا تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه، وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه»[1].

وهنا حقيقة أولية، لابد من ذكرها، وهي أن القرآن كتاب وظيفته تعليم الإنسان الإنسانية، وعلم الإنسانية يبحث في إنسانية الإنسان، وبيان القانون الإسلامي، والأحكام الشرعية الإسلامية التي تنظم حياته، في كافة المجالات الحياتية، والمجالات التي تربطه بأخيه الإنسان.

ويتبين من هذه الحقيقة، أن القرآن ليس كتاباً متخصصاً في الطب، أو الهندسة، أو الكيمياء، أو التاريخ، أو الجيولوجيا، أو البيولوجيا، أو الفلك وغيرها من العلوم الحديثة أو القديمة. ولكنه في الوقت نفسه شامل لأصول هذه العلوم، وعلى الإنسان الجد والإجتهاد في التوصل إلى جزئيات هذه العلوم، وإكتشافها. وعليه فالقرآن هو المنبع، والأب، والمرشد لهذه العلوم جميعاً، وهو الداعي، والموجه، والمساند لها ولا تعارض، ولا تناقض بينه، وبينها، إذ أن القرآن الحكيم يهدف إلى رقي وتقديم الأمم، عن طريق الإيمان بالله، والأخذ بالعلوم الدينية القرآنية التي جوهرها الإيمان بالله، وتوحيده، والإلتزام العملي بأحكامها، وقوانينها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدعو ويهدف إلى الإستفادة من مختلف العلوم والإكتشافات في تقدم الحياة الإنسانية، مع المحافظة على أن تكون هذه العلوم ضمن إطار توجيهات وأحكام العلوم الدينية، وعلى إرتباط قوي بها، وغير منفصلة عنها.

وبعبارة أخرى: إن القرآن تارة يورد كلمة العلم أو مشتقاتها بمعنى علم الفقه في الدين، وتارة أخرى بمعنى الوعي وإستخدام العقل، وتارة ثالثة بمعنى كل معرفة مشروعة يؤيدها العقل، وتنفع الإنسان، ومنها هذه العلوم المتقدمة التي نلمس آثارها اليوم

١. بحار الأنوار

القرآن يدعو إلى العلم في كافة المجالات المشروعة:

وحينـما نقول: إن القرآن هو المنبع، والشـامل لأصـول العلوم الحياتية، والعلوم الحديثة، يجـب أن تـدرك أنـه مرسـل مـن خالق هذا الكـون، الحكيم، العـالم بكل شيء فيـه، وأنه أعطـى للإنسـان مجموعـة مـن الحقائق العلميـة في مختلف الحقـول العلميـة كآيات، وأدلـة، وشـواهد، وأمثلـة عـلى الموضوعـات الإلهيـة، والإنسـانية التـي يطرحهـا، تـاركاً للإنسـان مهمة الإكتشـاف، والإبتكار، والإبداع، والتطوير، والتطوير، في مختلف الحقول، والمجـالات، لـكي يحقق بالفعل مفهـوم خلافته للـه، وعمارته للأرض ضمن إطـار الدين.

وكمثـال عـلى ذلـك: إن القـرآن الحكيـم أشـار إلى قضية غـزو الفضاء، تاركاً للإنسـان فُرصـه للتوصـل إلى تحقيقهـا، وفي ذلـك يقول:

﴿يَـا مَعْـشَرَ الْجِـنِّ وَالإِنـسِ إِنْ اسْـتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُـذُوا مِـنْ أَقْطَـارِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُـذُوا لا تَنفُـذُونَ إِلاَّ بِسُـلْطَانٍ﴾[1].

وإذا بالعلـماء في عصرنـا الحاضر، يسـتفيدون من هذه الآية الكريمـة عملياً، ويغزون الفضـاء - بالإعتـماد عـلى التقدم العلمي، والتقني - ويصلـون إلى القمر، والمريخ.

وكثـيرة هـي الظواهـر الطبيعيـة التي أشـار إليهـا القـرآن، كظاهرة الـسراب، الناتجة مـن إنكسـار الضـوء، وإذا بالعلـم الحديـث، يكشـف هـذه الظاهـرة، وغيرهـا مـن الظواهـر، ويبقـى الكثـير منها لم يكشـف.

وقِـس عـلى ذلـك الكثـير مـن القضايـا والظواهـر والحقائـق العلميـة في مختلـف المجـالات، التـي أشـار إليهـا القـرآن الحكيـم وبشـكل مركـز.

ومـن هـذا يتبـين لنـا أن العلـوم الإلهيـة والدينيـة هـي الأم لـكل العلـوم الأخـرى، ويجـب أن تُعتـبر كذلـك، ويسـار عـلى هديهـا، وفي أي علـم مـن علـوم الحيـاة. لأن العلـم - أي علـم - إذا لم يقـد الإنسـان إلى اللـه، ويهديـه إليـه، لهـو علـم ضائـع، ومبتـور، حتـى لـو حقـق كثـيراً مـن التقـدم، إذ أن كل علـم هو آيـة من آيـات الله، والإنسـان مكلـف بإكتشـاف تلـك الآيـات.

١. سورة الرحمن، الآية: ٣٣

وإذا كانت العلوم، والإكتشافات، آيات من آيات الله، فمن الخليق أن تقود الإنسان إلى الله، الذي برأه، وبرأها من العدم.

فما أجمل الطبيب المتخصص، حينما يقوده طبه إلى الله، فيكون متديناً، ملتزماً بتعاليم القرآن، متفقهاً في الدين، وحكيماً، وأخلاقياً!

وما أجمل المهندس، والجيولوجي، والكيميائي، والفلكي، والمربي، وأخصائي الكمبيوتر، وأخصائي الذرة، وغيرهم من المتخصصين، ما أجملهم حينما يكونون دينيين، وفي إطار توجيهات الدين!

إننا - مع مزيد الأسف - نجد في مجتمعاتنا فصلاً شديداً بين العلوم الإلهية والدينية والقرآنية، وبين العلوم الحياتية الأخرى، فما أكثر الأطباء، والمهندسين، والتكنولوجيين، والأخصائيين في العلوم، والحقول الأخرى، والبعيدين كل البعد عن القرآن، وعن روح التدين، والإلتزام، مع أنهم مسلمون ولو أنهم فكروا جيداً، ورجعوا إلى عقولهم، وفطرتهم، لأكتشفوا أن تلك العلوم، والتخصصات يجب أن تقودهم إلى حديقة القرآن، والإيمان بالله، والإلتزام بتعاليمه، والحكمة الحقيقية، لا إلى وحل التحرر من الدين والإلتزام الديني، أو الإلحاد، أو محاربة الدين. إن هناك من يعتقد أن العلم بديل عن الدين، وهذا الإعتقاد خطأ فاحش وخطير، فالعلم بلا دين إنحراف وضلال، كما أن الدين بلا علم جهل وتخلف، وعليه فإن الدين إمام العلم، وملازم له ولا يفترق عنه.

مكانه العلم، والعلماء في الإسلام:

يقول الرسول الأعظم (ص):

«إطلبوا العلم، ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومسلمة»[1].

ويقول (ص):

«إطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

---

١. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٤٦٣

ويقول الإمام علي (ع):

«العلم حياة الإسلام وعماد الدين» [1].

وعن أمير المؤمنين (ع) قال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، به يطاع الرب، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، العلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء» [2].

ويقول (ع):

«إن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف»[3].

ويقول تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4].

ويقول رسول الله (ص): «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[5].

ويقول (ص) أيضاً:

«مداد العلماء، من دماء الشهداء»[6].

ويقول (ص) أيضاً:

«العلماء أُمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، ويداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فاحذروهم»[7].

---

١. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٥٢.
٢. المصدر السابق – ص ٤٥٣.
٣. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص٤٥٢
٤. سورة فاطر، الآية: ٢٨
٥. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٥٦
٦. المصدر السابق – ص ٤٥٧
٧. المصدر السابق – ص ٥٢٠

ويقول الإمام علي (ع): « ... العلماء باقون ما بقي الدهر»[١].

للعلم، والعلماء - وخصوصاً الفقهاء - مكانة، وأهمية بارزة في الإسلام، وهناك الكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والروايات، تعني بالعلم، والعلماء، وتعليم العلم. وما أكثر مشتقات لفظة العلم في القرآن الحكيم! وليس غريباً أن نجد في الإسلام أن النظر إلى وجه العالم عبادة.

والإسلام يكره الجهل والأمية، ويمقتهما أشد المقت ويعمل على إزالتها، لأنها ضد العلم، وعدو الحكمة، فالحكمة لا تتواجد، أو لا تنمو في وسط الجهل، والأمية، كما النبتة لا تنمو في جو ينعدم فيه الضوء، والهواء، والتربة الصالحة. ومن المؤلم، أن البلاد الإسلامية، أو دول ما يدعى بالعالم الثالث تعاني من الأمية بشكل مذهب، فقد تصل نسبتها في بعض البلاد الإسلامية إلى ٨٠٪، وفي البعض الآخر ٦٠٪، وفي بعض ٥٠٪، من جملة عدد السكان! بينما لا تجد هذه النسب في الغرب أو الشرق. ومن جهة أخرى أن الجهل، والأمية من مسببات، وعوامل التخلف، وسيطرة المستكبرين على الشعوب. ولأهمية العلم، ودوره في بناء، وتنوير المجتمع، نجد أن رسول الله (ص)، كان يطلق كل أسير من المشركين، في مقابل تعليمه لمجموعة من المسلمين.

ويقول الإمام (ع):

«الجهل موت». «الجهل وبال». «الجهل أصل كل شر». «الجهل يفسد المعاد».[٢].

وهكذا الحال بالنسبة للعلماء، فلأهميتهم، إعتبروا أمناء للرسل والأنبياء. وبمقدار ما على كاهلهم من مهمات، ومسؤوليات، كانت مكانتهم، وإلا فإن المكانة لا تنبثق من الفراغ، ولا تكون لمجرد العلم والتوسع العلمي.

إن العالِم الفقيه في الإسلام، هو القائد، والمرشد، والموجه، فإذا صلح، صلح الناس، وعكس ذلك صحيح.

١. المصدر السابق - ص ٤٥٨
٢. شرح الغرور الدرر - ج ٧ ح ص ٥٢

يقول الإمام الحجة (عج):

«أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[1].

ويقول (ع) أيضاً:

«من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه».

ويقول الإمام الصادق (ع): «إذا صلح العالِم، صلح العالَم»[2].

وبناء على هذا فإن المطلوب من العلماء أن يكونوا حُكماء، يضعون علمهم موضعه، ويصبحوا محركات مجتمعهم، فيكونوا قادة، ومرشدين، وموجهين، ومتواضعين، لا يعرفون للوصاية على الناس، أو الهيمنة عليهم أي معنى، كما كان رسول الله (ص)، والإمام علي (ع)، وباقي أئمة أهل البيت (ع)، مع الناس. ولكي يصدق عليهم قول الله - تعالى - في موعظته لعيسى بن مريم (ع):

«عَظم العلماء، وأعرف فضلهم، فإن فضلهم على جميع خلقه - إلا النبيين، والمرسلين - كفضل الشمس على الكواكب، وكفضل الآخرة على الدنيا، وكفضلي على كل شيء»[3].

ويقول الإمام الصادق (ع): «عالم يُنتفع بعِلمه، أفضل من سبعين ألف عابد»[4].

ولأن الله فضّل العلماء الحقيقيين، فقد حث الناس على مجالستهم، وملازمتهم، التنور بعلومهم، ومعارفهم، والإقتداء بتقواهم، وأخلاقياتهم، وسلوكياتهم. فما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم، إلا ناداه الله تعالى:

«جلست إلى حبيبي، وعزتي وجلالي! لأسكنتك الجنة معه، ولا أبالي»[5].

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٢٨٢
٢. تحف العقول
٣. كلمة الله - ص ١٥٨
٤. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٤٥٩
٥. كلمة الله - ص ١٥٨

وأوحى الله – تعالى – إلى دانيال النبي – عليه السلام -:

«إن أمقت عبيدي إلي، الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك الإقتداء بهم. وإن أحب عبيدي إلى، التقي، الطالب للثواب الجزيل، الملازم للعلماء، التابع للحكماء، القابل عن الحكماء»[1].

والإسلام لا يعظم العلماء والفقهاء – فقط – بل إنه يولي إهتماماً كبيراً حتى بالعلماء في العلوم الحياتية الأخرى، لأنهم ذوو فضل في إكتشاف كثير من المجهولات، والأجهزة التي تسهم في تقدم الحياة البشرية. ومن هنا يمكن القول: إن مفهوم كلمة «العلم» في الإسلام تعني كل ما مِن شأنه إسعاد الناس، ورفع الجهل، وحصول المعرفة واليقين، في أي مجال من المجالات، مع التأكيد على كون العلوم الدينية أو الشرعية هي الأساس والأصل، وإن علماء الدين والشريعة الحقيقيين (الفقهاء) يتميزون بمنزلة خاصة في الإسلام.

علاقة العلم بالعمل:

يقول الإمام علي (ع): «العلم أمام العمل، والعمل تابعه»[2].

ويقول الرسول الأعظم (ص): «مَن عمل على غير عِلم كان ما يفسده أكثر مما يصلح»[3].

يقول الإمام علي (ع):

«العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه إلا ارتحل عنه»[4].

ويقول (ع) أيضاً: «أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرمقه ما ظهر في الجوارح، والأركان»[5].

١. المصدر السابق – ص ١٥٩
٢. ميزان الحكمة – ج ٦
٣. المصدر السابق – ص ٥٠٤
٤. المصدر السابق – ص ٥٠٥
٥. المصدر السابق – ص ٥١١

ويقول (ع) أيضاً:

«لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فاقدموا»[1].

ويقول (ع) أيضاً: «الداعي بلا عمل، كالرامي بلا وتر»[2].

قبل تبيان العلاقة بين العلم، والعمل من المهم تعريف العمل.

فالعمل في الإسلام يعني كل عمل صالح، أو كل ممارسة صالحة يتحقق فيها رضا الله - سبحانه وتعالى - وعليه فالعمل في الإسلام لا ينحصر في العبادة، كما أن العلم لا ينحصر في فقه العبادات، والأحكام الشرعية. وأهمية تعريف العمل تنبع من أن مفهومه قد يلتبس على البعض، إذ أن المناهج التعليمية في أنظمة الظلم والطغيان تبرز أن الإسلام يدعو إلى العمل، ولكن أي عمل، وما هي مجالاته، فهذا ما تتركه مبهما لكي تظل الشعوب جاهلة للمفهوم الشامل للعمل، ومن ثم لكي تحافظ تلك الأنظمة على بقائها على رأس السلطة.

وعلاقة العلم بالعمل يمكن تركيزها في أمرين:

- إن العلم هو الإمام، والقائد، والموجه للعمل، إذ أن العمل يستقيم، ويزدهر بالعلم، وإن العمل على غير بصيرة كالسير على غير طريق، يؤدي إلى زيادة الإبتعاد عن الطريق. وهذا الأمر يجري على العبادات، فالعبادة يجب أن تكون مع التفقه، فالعابد بلا فقه كمثل الذي يبني بالليل، ويهدم بالنهار، كما يجري على الأعمال الأخرى، وفي شتى المجالات، ومثال ذلك: إن قيادة الدولة - والتي هي عمل من الأعمال - يجب أن تكون بالمعلم، فقيادة الدولة التي لا تعتمد على قيادة العلم لها، قد تؤدي بالدولة إلى التأخر، والضياع، والتيه، وربما إلى السقوط.

١. نهج البلاغة - ص ٥٢٤.

٢. ميزان الحكمة - ج ٣ - ص ٢٥٥.

- إن العلـم والعمـل قرينـان، فمـن علـم عمـل، وفي أي مجـال، سـواء فيـما يرتبـط بالعبـادات، أو فيـما يرتبط بالعلوم الأخـرى، إذ لا فائدة في علـم بـلا علم.

فـما جـدوى فقـه الفقيـه إذ لم يحولـه إلى عمـل، وما فائـدة النظريات التـي يتوصل إليهـا عـالم، أو مكتشـف إذا لم يحولهـا إلى عمـل أيضا.

إن العلـم الصحيـح بـلا عمـل يمكـن أن نطلـق عليـه حكمـة نظريـة. ومـا فائـدة الحكمـة النظريـة إذا لم تترجـم إلى حكمـة عمليـة، ومـن ثـم إلى عمـل مثمـر؟

ومـن أخطـر الأوبئـة الإجتماعيـة التـي أُبتليت بهـا الأمـم – ومنها الأمة الإسـلامية – وبـاء فصـل العلـم – وبالخصـوص العلـوم الدينيـة الشرعيـة – عـن العمـل، وتحـول العلـم إلى مجـرد نظريـات، ومعلومـات، بعيـدة عـن واقـع الفعـل، والتطبيق.

بينـما القاعدة الإسـلامية تنـص، وتؤكد على أن العلم في هتـاف، ونداء دائمين للعمل، وكأنهـما توأمـان لا يفترقـان. فـإذا ما أجاب العمـل، العلم، صلحت الأمـة، وتقدمت، وتطـورت، وإلا فارتحـل العلـم عـن العمـل، وسـافر عنـه، وأصبـح بـلا جـدوى، ولا فائـدة، إذاً مـا قيمـة الإنسـان وهـو يمتلـك النظريـات، والحقائق، والمعلومـات، دون أن يسـتفيد منهـا في مجـال الواقع؟!

وقضيـة قـران العمـل بالعلـم، ليـس مُطالبـاً بهـا – فقـط – طـلاب العلـوم الدينيـة، والمتضلعـون، والمتبحـرون في العلـم، وإنمـا مطالـب بهـا كل إنسـان يعـرف قليـلاً، أو كثـيراً مـن العلـم، بمـا لكلمـة العلـم مـن معنـى، ولا شـك أن المتضلـع في العلـم مسـؤوليته أكـبر، لأنـه يمتلـك رصيـداً أكـبر منـه. والعمـل بالعلـم يشـمل الإلتـزام الفـردي، والمسـاهمة الفعاليـة في التغيـير الإجتماعـي.

يقول الله – تعالى -:

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آَمَنُـوا لِـمَ تَقُولُـونَ مَـا لا تَفْعَلُـون. كَبُرَ مَقْتـاً عِنْـدَ اللَّـهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[1].

١. سورة الصف، الآية: ٢ – ٣

إن الله – سبحانه وتعالى – يمقت أشد المقت، ذلك الإنسان الذي يعلم، ولا يعمل، ويقول، ولا يفعل.

والعمل بالعلم ينطبق على العلوم الدينية الشرعية، والأحكام، والقوانين الإسلامية بالدرجة الأولى، كما ينطبق على العلوم الحياتية الأخرى أيضاً فإذا لم يعمل العلماء في حقول العلم المختلفة بما توصلوا إليه، لن تستفيد الإنسانية شيئا، ولما تقدمت، وتطورت، وقد تصبح العلوم في غياب العمل بها مجرد ترف علمي، ليس إلا.

إلا إننا نركز هنا على العمل بالعلوم الدينية الشرعية، بإعتبارها الأم للعلوم الأخرى، وبإعتبارها المحرك للمجتمعات، فإذا إبتعد الإنسان فيها عن العمل بها، فماذا نتوقع من المجتمعات، غير الإلحاد، أو الكفر، أو التحرر من الدين، أو الجمود والركون، وسيطرة الطغاة، والمستكبرين على مقاليد الأمور؟!

وبعبارة أخرى: ماذا نتوقع من المجتمعات – غياب الإلتزام بالعلوم الدينية – غير حدوث أزمة الأخلاق وسيطرة أنظمة الظلم والطغيان؟

ولو تأمل المتأمل في آيات القرآن الحكيم، لرأى إنها تقارن العمل بالعلم دائماً، ويأتي العلم في صورة الإيمان في كثير من الأحيان بإعتباره علماً أو يقيناً. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: -

يقول تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[2].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[3].

١. سورة العصر، الآية: ١-٣
٢. سورة الكهف، الآية: ١٠٧.
٣. سورة الرعد، الآية: ٢٩.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[1].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[3].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾[4].

ويقول الإمام علي (ع): «الإيمان والعمل أخوان توأمان، ورفيقان لا يفترقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»[5].

علاقة الحكمة بالعمل:

قد علمت مسبقاً أن الحكمة تُعرف بالعلم (الصحيح من العلم)، وأن العلم ثمرة الحكمة. وعليه فإن العمل يجب أن يكون تحت إمامة الحكمة، ومقرونا بها، لأن العمل بلا حكمة يهدم أكثر مما يبني.

فإذا أردت أن تصبح عالماً حكيماً، حريّ بك أن تستجيب لهذا النداء الإيماني:العمل! العلم! بالعلم تحت إمامته.

علماء الدين بين العلم، والعمل:

أوحى الله إلى بعض أنبيائه:

«قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا لغير الأخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم أمرّ من الصبر: إياي تخادعون، وبي تستهزئون، لأتيحنّ لكم فتنة تذر الحليم حيراناً»[6].

---

١. سورة لقمان، الآية: ٨

٢. سورة النور، الآية: ٥٥

٣. سورة البينة، الآية: ٧.

٤. سورة الجاثية، الآية: ٣٠

٥. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٢٥

٦. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٧٩، كلمة الله – ص ١٦٢

بـلا ترديـد، إن قـرن العلـم بالعمـل لا يجـب عـلى فئـة دون فئـة، ولا يقتـصر عـلى طبقـة دون أخـرى. فالـكل مطالب بالعمـل، وتؤكد هذا الأمر كلمـة الإمام علي (ع): «مـن علـم عمـل». كـما أن العمل بالعلـم لا ينحصر فقـط في أصحاب العلـم الكثير. فكـما أن الفقيـه مطالـب بالعمـل بعلمـه. كذلك فـإن أي مؤمن مطالـب بالعمل بما يعلـم أيضاً.

ومشـكلة عـدم العمـل بالعلـم قـد يبتـلي بهـا أي إنسـان بـصرف النظر عـن طبقته، وهـذه المشـكلة قـد توجـد في صفـوف العلـماء بصـورة أكبر.

وإن مـن أخطـر الأمـراض التـي أصيبـت بهـا الحـوزات العلميـة، مـرض الفصـل بـين العلـم، والعمـل، وإتخـاذ العلـم مـبرراً للتقاعـس، والهروب مـن تحمل المسـؤوليات الدينية الرسـالية.

فهنـاك مـن طـلاب العلوم الدينيـة، من يصرف العقـود الزمنية من عمـره، بين غرف الحـوزات العلميـة، وأروقتهـا، ويـا ليتهـم يسـعون لنيـل درجـة الإجتهـاد، ولكنهـم إعتـادوا عـلى الدراسـة في الحـوزة، فأصبـح العلـم هدفهـم وعـادة وتقليـداً فيهـم، وديدنهـم، وكل همهـم، بينـما على صعيد العمل لرسـالتهم، تجدهـم. ظروفاً جوفاء، وليـس لهـم أي رصيـد منـه، ولربمـا إنمسـخت كلمة (العمـل) من قاموسـهم.

وهـذا مـا يريـده الإسـتكبار، والإمبرياليـة، أعداء الإسـلام عموماً، للحـوزات أن تكون، ولطلبـة العلوم الدينيـة أن يكونوا.

وحينما تسأل الواحد منهم:

ماذا قدمت لأُمتك، ورسالتك؟

أجاب: إنني لا زلت في طور الدراسة، والتحصيل العلمي.

***

يقول أحد العلماء العاملين:

التقيـت مـرة طالباً من طلاب العلوم الدينية، وسـألته: ماذا قدمت لأمتك، ورسـالتك مـن خدمـة، وعمل، فأجـاب: إن بلدي يحتاج في المسـتقبل إلى رئيـس الديوان العالي

للقضاء، وأنا الآن أدرس لكي أكون ذلك الرئيس. فقلت له: أي مجنون ذلك الذي يعمل، وينتصر، ثم يأتي بك على رأس هذا المنصب؟!

***

ولا يعني هذا - أبداً - أن الدراسة الحوزوية ليست مطلوبة، بل العكس تماماً، وسبق أن بينا أن العلوم الدينية الشرعية هي الأساس والأصل، هي الأم لكل العلوم. وإنما المعني أن طالب الحوزة يجب أن لا يكون - بأي شكل من الأشكال - منفصلاً عن دائرة العمل أثناء فترة دراسته، بل عليه أن يعيش روحية العمل، ولو بالحد الأدنى منه. أي أن يضمن مسيرته العلمية رصيداً من العمل في سبيل أُمته، ورسالته - ولو كان قليلاً - لكي لا يُصاب بمرض الفصل بين العلم، والعمل.

يقول الرسول الأعظم (ص):

«ألا وإن العالم من يعمل بالعلم وإن كان قليل العمل»[1].

والمطلوب من الجامعات الدينية، والحوزات العلمية أن تعمل على تخريج علماء عاملين، وهذا لا يتم إلا بالتوجيه والتعليم خلال فترة الدراسة لضرورة قرن العلم بالعمل، بالإضافة إلى ذلك إدخال الطالب في غمار ممارسة العمل بما تعلمه.

والمطلوب كذلك من طالب الحوزة أن يعيش آلام الناس، وقضاياهم، وخصوصاً قضاياهم المصيرية، وأن يكون سياسياً واعياً، ومتصدياً - أو على الأقل - مشاركاً في عملية التغيير الإجتماعي، لا أن يكتفي بارتداء العمامة والجبة، - مع أن (العالم) يشمل من يرتدي هذا الزيّ، وغيره - ويترك الحبل على الغارب، ويتحول إلى عالم ديكور، وأناقة، أو إلى عالم كلام منطقي منمق.

يقول الإمام علي (ع):

«يا حملة القرآن! إعملوا به، فإن العالم من علم ثم عمل بما علم، ووافق عَمله عِلمه»[2].

١. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٥٠٥
٢. المصدر السابق - ص ٥٠٥

ويقول كميل بن زياد النخعي (رض):

«أخذ بيدي أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، عليه السلام، فأخرجني إلى الجبال، فلما أصحر، تنفس الصعداء، ثم قال:

يا كميل بن زياد!

إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فأحفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، إتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل!

العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل بن زياد!

معرفة العلم دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الإحدوثة بعد وفاته. والعلم حاكم، والمال محكوم.

يا كميل!

هلك خزان الأموال، وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، ها أنا هنا لعلماً جماً (وأشار إلى صدره)، لو أصبت له حملة! بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، مستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحق، لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، إلا لا ذا، ولا ذاك! أو منهوماً باللذة، سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع، والإدخار، ليسا من دعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة؛ إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً

مغموراً، لئلا تبطل حجج الله، وبيناته، وكم ذا، وأين أولئك، والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً. يحفظ الله بهم حججه، وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلماء على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، وإستلانوا ما استعوره المترفون، وأنسوا بما إستوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان، أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه. آه آه شوقاً إلى رؤيتهم! إنصرف يا كميل إذا شئت[1].

ويقول – تعالى – في حديث قدسي:

«إن أدنى ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمي – من سبعين عقوبة باطنية – أن أنزع من قلبه حلاوة ذكري»[2].

وكما أن المطلوب من طالب العلوم الدينية أن يعمل – ولو قليلاً – أثناء فترة دراسته، فإنه مطالب بالعمل في سبيل دينه ورسالته بعد إنهائه فترة الدراسة. بل إن أي إنسان مؤمن هو مُطالب بالعمل بما يعلم.

علماء السوء:

من هم علماء السوء؟

هم أولئك العلماء الذين ابتعدوا عن الحكمة الحقيقية، ووضعوا علمهم، وحكمتهم في غير موضعها، وجعلوا دينهم آلة للدنيا، وأصبحوا أبواقاً، وخداماً، ووسائط لإعطاء الشرعية للأمراء، والملوك، والسلاطين يعيشون على حساب المظلومين، والمعذبين، والمستضعفين، ويكيفون الدين حسبما يريده السلطان، وهمهم، التمتع بحطام الدنيا، وملذاتها. وهم الذين يمدحون الحكام، ويباركون لهم أعياد جلوسهم، أو الأعياد (الوطنية) كما يسمونها، ومنهم من يؤول الآيات القرآنية فيهم، أو ينشد الشعر مدحاً فيهم!

---

١. نهج البلاغة – ص ٤٩٥ – ٤٩٧

٢. كلمة الله – ص ١٦٠

أوحى الله تعالى إلى داود (ع):

«لا تجعل بيني، وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قُطاع طريق عبادي المؤمنين، إن أدنى ما أنا صانع بهم، إن أنزع حلاوة مُناجاتي من قلوبهم»[١].

إن السلطات السياسية الظالمة - في عصرنا اليوم كما هي في الماضي - تستفيد من هذه النوعية من العلماء، وتستخدمهم في أغراضها السياسية، فيقوم هؤلاء العلماء المتزلفون بمدح الحاكم، ومباركة خطواته حتى ولو كانت ضد الدين، مقابل شيء من الحُطام.

***

في عام ١٩٨٠ قام الرئيس المصري محمد أنور السادات بمبادرته الإستسلامية للقدس، والتي ترتبت عليها إتفاقيات كامب ديفيد، فما كان من شيخ الأزهر آنذاك إلا أن بارك هذه المبادرة، وأستشهد - في حق السادات - بالآية الكريمة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢] معطياً بذلك، الشرعية له في القيام بالمبادرة الإستسلامية.

وهكذا يقوم علماء البلاط بتبرير خطوات الحكام غير القانونية، غير الشرعية، وإضفاء القدسية، والشرعية عليها!

يقول الرسول الأعظم (ص):

«العلماء أُمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، ويداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فأحذروهم!».

***

والآن إذ كنت، أو أردت أن تكون عالماً حقيقياً، حكيماً، فمِن سواه كنت فرداً

١. كلمة الله - ص ١٦٠ - ١٦١

٢. سورة الأنفال، الآية: ٦١

عادياً، أو طالباً في حوزة علمية، أو تلميذاً في جامعة، أو مكتشفاً، أو مخترعاً، أو غير ذلك فمن واجبك الإلتزام بمجموعة من القواعد الهامة، منها ما يلي:

- تخلق بالأخلاق الإسلامية، لأنه لا فائدة في علم لا يقوم على الأخلاق، ولا يقود إليها.
- لتقرن العلم بالعمل، لأن الأول يهتف بالآخر، فإن أجابه الآخر، وإلا ارتحل الأول، وما أحوج الإجتماع، إلى العلم والعمل معا!
- تعلم العلم، وعلمه لغيرك، فلا فائدة في علم مسجون بين الأضلع.
- تذاكر العلم النافع مع غيرك، لأن التذاكر يلقح العقل، ويحقق التقدم العلمي.
- عظم العلماء الحقيقيين، واَعرف فضلهم.
- خالط العلماء الحكماء، وجالسهم، وإقتد بهم.
- لا تغتر بعلمك، ولا تعجب، فإن الغرور، والجب من آفات العلم المدمرة.
- لا تضيع العلم الذي حملته، وأفد بِه ومِنه.
- حذار من أن تكون من علماء السوء، أو وعاظ السلاطين!
- ليكن علمك قائداً لك إلى الله، في أي حقل علمي كنت.
- تفقه في دينك.
- تسلح بالوعي وإستخدم العقل في حياتك

أحاديث شريفة في العلم والعلماء

«العلم مصباح العقل»[١]. (الإمام علي).

«قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعَلموا، وعلِموا، وتفقهوا، ولا تموتوا جهالاً، فإن الله لا يعذر على الجهل» [٢]. (الرسول الأعظم).

«العلم قائد الحلم»[٣]. (الإمام علي).

«العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله»[٤]. (الرسول الأعظم).

«العلم حياة»[٥]. (الإمام علي).

«الكلمة من الحكمة يسمعها الرجل فيقول أو يعمل بها خير من عبادة سنة»[٦]. (الإمام علي).

«فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة»[٧]. (الرسول الأعظم).

«العلم أول دليل، والمعرفة آخر نهاية»[٨]. (الإمام علي).

«العلم لقاح المعرفة»[٩]. (الإمام علي).

«لقاح العلم التصور والفهم» [١٠]. (الإمام علي).

«أفضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه» [١١]. (الإمام علي).

١. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٤٤٨
٢. كنز العمال - خطبة ٢٨٧٥٠
٣. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٤٤٩
٤. المصدر السابق - ص ٤٥١
٥. المصدر السابق - ص ٤٥٢
٦. المصدر السابق - ص ٤٥٩
٧. المصدر السابق - ص ٤٥٨
٨. المصدر السابق - ص ١٣٠
٩. المصدر السابق - ص ١٣٣
١٠. المصدر السابق - ص ١٣٣.
١١. المصدر السابق - ص ١٤٠.

«أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه»[١]. (الإمام علي).

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٢]. (الإمام علي).

«معرفة الله سبحانه أعلى المعارف»[٣]. (الإمام علي).

«من عرف الله كملت معرفته»[٤]. (الإمام علي).

«ثمرة العلم معرفة الله»[٥]. (الإمام علي).

«العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع»[٦].

«من عرف نفسه كان لغيره أعرف»[٧]. (الإمام علي).

«ثمرة العلم العمل للحياة»[٨]. (الإمام علي).

«إنما العلم ثلاثة: آية مُحكمة، أو فريضة عادلة، أو سُنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل»[٩]. (الرسول الأعظم).

«شيئان لا تبلغ غايتهما: العلم والعقل»[١٠]. (الإمام علي).

«العلم أكثر من أن يحُاط به»[١١]. (الإمام علي).

«العلم عِلمان: علم الأديان، وعلم الأبدان»[١٢]. (الرسول الأعظم).

١. المصدر السابق – ص ١٤٠
٢. المصدر السابق – ص ١٤٢
٣. المصدر السابق – ص ١٥٥
٤. المصدر السابق – ص ١٥٥
٥. المصدر السابق – ص ١٥٥
٦. المصدر السابق – ص ٥٢١
٧. المصدر السابق – ص ١٤١
٨. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٩٩
٩. أصول الكافي – ج ١ – ص ٣٢
١٠. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٥٢٧
١١. المصدر السابق – ص ٥٢٧
١٢. المصدر السابق – ص ٥٢٧

«العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع» [1]. (الإمام علي).

«من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يعلم» [2]. (الإمام الباقر).

«كل علم لا يؤيده عقل، مُضلة» [3]. (الإمام علي).

«تفقهوا في الحلال والحرام وإلا فأنتم أعراب» [4]. (الإمام الباقر).

«لا يدرك العلم براحة الجسم» [5]. (الإمام على).

«جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله! ما حق العلم؟ قال: الإنصات له، قال: ثم مه؟ قال: الإستماع له، قال: ثم مه؟ قال: الحفظ له، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه؟ قال: نشره» [6]. (الإمام الباقر).

«أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد» [7]. (الرسول الأعظم).

«العلماء ورثة الأنبياء» [8]. (الرسول الأعظم).

«العالم حي وإن كان ميتاً، الجاهل ميت وإن كان حياً» [9]. (الإمام علي).

«موت العالِم ثلمة في الإسلام، لا تسد ما اختلف الليل والنهار» [10]. (الرسول الأعظم).

«اطلبوا العلم، ولو بخوض اللجج وشق المهج» [11]. (الإمام الصادق).

---

١. المصدر السابق – ص ٥٢٧.
٢. المصدر السابق – ص ٥٣٣.
٣. المصدر السابق – ص ٥٣٠.
٤. المصدر السابق – ص ٥٣١.
٥. المصدر السابق – ص ٥٣٥.
٦. المصدر السابق – ص ٤٨٦.
٧. المصدر السابق – ص ٤٥٦.
٨. أصول الكافي – ج ١ – ص ٣٢.
٩. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٥٨.
١٠. كنز العمال – خطبة ٢٨٧٦١.
١١. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٦٣.

«منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»[1]. (الإمام علي).

«من علم، وعمل، وعلم عد في الملكوت الأعظم عظيماً»[2]. (السيد المسيح).

«من علم خيراً فله بمثل أجر من عمل به»[3]. (الإمام الصادق).

«علم الناس علمك، وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم»[4]. (الإمام الحسن).

«من كتم علماً نافعاً عنده ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[5]. (الرسول الأعظم).

«ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحاً لأنفسهم، لا أربح الله تجارتهم»[6]. (الرسول الأعظم).

«من لم يصبر على ذُل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا»[7]. (الرسول الأعظم).

«كان فيما وعظ لقمان إبنه، أنه قال: يا بني إجعل في أيامك ولياليك نصيباً لك في طلب العلم، فإنك لن تجد تضييعاً مثل تركه»[8]. (الإمام الصادق).

«من تعلم العلم لغير الله فليتبوأ مقعده من نار»[9]. (الرسول الأعظم).

«من تعلم العلم لغير العمل فهو كالمستهزئ بربه عزَّ وجلَّ»[10]. (الرسول الأعظم).

«خذوا من العلم ما بدا لكم، وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به

١. المصدر السابق – ص ٤٦٤
٢. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٦٩
٣. المصدر السابق – ص ٤٧٠
٤. المصدر السابق – ص ٤٧١
٥. كنز العمال – خطبة ٢٩١٤٢
٦. المصدر السابق – خطبة ٢٩٠٨٤
٧. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٧٦
٨. المصدر السابق – ص ٤٧٧
٩. المصدر السابق – ص ٤٧٩
١٠. المصدر السابق – ص ٤٧٩

العلـماء، أو تمـاروا بـه السـفهاء، أو تـراؤوا بـه في المجالـس، أو تصرفـوا وجـوه الناس إليكـم للـترؤس ...» [١]. (الإمـام عـلي).

«العلـماء ثلاثـة: رجـل عـاش به الناس وعـاش بعلمـه، ورجل عاش به النـاس وأهلك نفسـه، ورجـل عاش بعلمـه ولم يعش به أحـد غيره» [٢]. (الرسـول الأعظم).

«مـن وصيـة ذي القرنـين: لا تتعلـم العلـم ممـن لم ينتفع به فإن مـن لم ينفعه علمه لا ينفعك» [٣]

«وخـذ الحكمـة ممـن أتـاك بهـا، وأنظـر إلى مـا قـال، ولا تنظـر إلى مـن قـال» [٤]. (الإمـام عـلي).

«لينوا لمن تعلمون، ولمن تتعلمون منه» [٥]. (الرسول الأعظم).

«إذا جلسـت إلى عـالم فكـن عـلى أن تسـمع إحـرص منـك عـلى أن تقـول، وتعلـم حسـن الإسـتماع كـما تتعلـم حُسـن القـول، ولا تقطع على أحـد حديثـه» [٦]. (الإمام الباقر).

«من وقر عالماً فقد وقر ربه» [٧]. (الإمام علي).

«عـلى المتعلـم أن يـدأب نفسـه في طلـب العلم، ولا يمـل من تعلمه، ولا ليسـتكثر ما علـم» [٨]. (الإمام علي).

«قـال لقـمان لإبنـه: للعـالم ثـلاث علامـات: العلـم باللـه، وبما يحـب، وما يكـره» [٩]. (الإمـام الصادق).

١. المصدر السابق – ص ٤٨٠.
٢. كنز العمال – خطبة ٢٨٩٤١.
٣. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٨٤.
٤. المصدر السابق – ص ٤٨٥.
٥. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤٨٧.
٦. المصدر السابق – ص ٤٨٨.
٧. المصدر السابق – ص ٤٨٩.
٨. المصدر السابق – ص ٤٩٠.
٩. المصدر السابق – ص ٤٩٦.

«العالِم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً إلا يعرف قدره»[1]. (الإمام علي).

«الخشـية مـيراث، والعلـم شـعاع المعرفة وقلب الإيمـان، ومن حرم الخشـية لا يكون عالماً وإن شـق الشـعر في تشـابهات العلـم، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَخْـشَى اللَّهَ مِـنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾»[2]. (الإمـام الصادق).

«رب جهل أنفع من علم»[3]. (الإمام علي).

«إعقلـوا الخـير إذا رأيتمـوه عقـل رعايـة لا عقل رواية، فـإن رواة العلـم كثير ورعاته قليـل»[4]. (الإمام علي).

«زلة العلم كإنكسار السفينة تغرق وتغرق»[5]. (الإمام علي).

«من إزداد علماً ولم يزدد هدى، لم يزدد من الله إلا بعداً»[6]. (الرسول الأعظم).

«سـئل أمـير المؤمنـين عليـه السـلام عن أعلـم الناس؟ قال: مـن جمع علـم الناس إلى علمه»[7]. (الإمـام الصادق).

١. المصدر السابق – ص ٥٠٠
٢. المصدر السابق – ص ٥٠٠
٣. المصدر السابق – ص ٥٠٧
٤. المصدر السابق – ص ٥١١
٥. المصدر السابق – ص ٥١٧
٦. المصدر السابق – ص ٥١٩
٧. المصدر السابق – ص ٥٣٣

بين الأخلاق، والحكمة

تعريف:

يقول الله – تعالى – في وصفه لنبيه الكريم (ص):

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

أصل كلمة الأخلاق من الفعل خَلُقَ، أي لان، ومَلس، واستوى، ومن خالق، أي عاشر بخُلق حسن، ومر تخلق، أي تطبع بطباع.

ومفرد الأخلاق، الخُلْق، والخُلُق، وهو المروءة، والعادة، والسجية، والطبع، والتقليد. فالأخلاق هي المروءات، والعادات، والسجايا، والطباع، والتقاليد. وتُعرف الأخلاق بأنها القواعد العملية لتنظيم وتهذيب السلوك الإنساني. وعِلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الأخلاق نفسها، وهو أحد أقسام الحكمة العملية، ويسمونه أيضاً الحكمة الخلقية، هذا حسب التقسيمة القائلة بأن الحكمة قِسمان: نَظرية، وعِملية، وأحد فروع العملية، عِلم الأخلاق الذي يشتمل على الفضائل الأربع وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدل.

أمهات الأخلاق

هناك من يرى أن في باطن الإنسان أربعة أركان، لابد من الحُسن في جميعها حتى يتم حُسن الخُلق، كما حُسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحُسن العينين دون الأنف، والفم والخد، بل لابد من حُسن الجميع ليتم حُسن الظاهر، فإذا إستوت الأركان الأربعة، وإعتدلت، وتناسبت، حصل حُسن الخلق، وهي:

- قوة العلم.
- وقوة الغضب.
- وقوة الشهوة.
- وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث.

١. سورة القلم، الآية: ٤

وحسن القوة الغضبية وإعتدالها يعبر عنها بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة وإعتدالها يعبر عنه بالعفة. فإن مالت قوة الغضب عن الإعتدال إلى طرف الزيادة سُمي ذلك تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنُقصان سُمي ذلك جبناً وخوراً. وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الِزيادة سُمي شرهاً، وإن مالت إلى النقصان سُمي خموداً، والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان. والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان، بل له ضد واحد وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى الإفراط فيها عند الإستعمال في الأغراض الفاسدة خبّاً وجربزة (أي الخبل والخداع والإضطراب)، ويسمى التفريط فيها جهلًا وبلهاً، والوسط هو الذي يختص بإسم «الحكمة».

وعلى ذلك فأُمهات الأخلاق، وأُصولها أربعة، وهي:

- الحكمة.
- والشجاعة.
- والعفة.
- والعدل.

ومن إعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

يقول الإمام علي (ع):

«الفضل أربعة أجناس:

أحدها: الحكمة، وقوامها في الفكرة.

والثاني: العفة، وقوامها في الشهوة.

والثالث: القوة، وقوامها في الغضب.

والرابع: العدل، وقوامها في إعتدال قوى النفس»[١].

١. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٤٥

ويقول الإمام العسكري (ع):

«إن للسخاء مقدارا فإن زاد فهو سرف، وللحزم مقداراً فإن زاد فهو جبن، وللإقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بُخل، وللشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور»[1].

العلاقة بين الأخلاق، والحكمة:

مما تقدم تبين أن من تعريف الحكمة، العقل. والعقل من طبيعته أنه يدعو إلى الأخلاق - ما لم يُحرف مساره الطبيعي - ومن هنا ومن كانت الأخلاق نتيجة، وثمره من ثمرات العقل، وبالتالي ثمرة من ثمرات الحِكمة.

ولنضرب لذلك مثالًا عملياً بالإنفاق على الزوجة. فمعرفة أن الإنفاق على الزوجة واجب، وحسن، هو الحكمة النظرية، أو المعرفة العقلية، وهو معرفة وضع الشيء وهو الإنفاق، في موضعه، أي على الزوجة وممارسة الإنفاق على الزوجة، علياً - وهو خُلق حَسن - جاء نتيجة معرفة وضع الشيء في موضعه، أي معرفة أن الإنفاق على الزوجة، واجب وحَسن، بحيث إننا لو لم نعلم بأن الإنفاق على الزوجة هو وضع للشيء في موضعه، لما تم الإنفاق على الزوجة عملياً. وبذلك كان الإنفاق على الزوجة الذي هو واجب، وخلق حسن في نفس الوقت، أثراً، وثمرة ترتبت على الحكمة، ومن هنا يمكننا القول أن الأخلاق تأتي نتيجة الحكمة العقلية، وثمرة لها، مع ملاحظة أن الحكمة العقلية لا تتناقض مع الدين والشرع، فإن تناقضت فهي ليست حكمة.

ومثال آخر:

نعلم أن إحترام الزوجة خُلق حَسن، وأساس هذا الخلق الحَسن هو الإدراك العقلي لحقيقة هذا الخلق، وهو علمنا بأن إحترام الزوجة هو وضع للشيء في موضعه (الحكمة النظرية)، فعليه كان إحترام الزوجة عملياً وتطبيقا كخلق حسن، وطبع محمود، أثراً وثمرة ترتبت على الحكمة.

١. المصدر السابق - ص ١٤٤

الأخلاق، بين اللين والشدة.

ما هو اللين؟

وما هي الشدة؟

ومع من اللين؟

ومع من الشدة؟

اللين هو الرفق، والليونة، والرحمة. والشدة هي القوة، والخشونة، والعنف.

والإسلام الحنيف أمر الإنسان بأن يتخلق باللين، والرفق والرحمة والذلة مع أهله، وإخوانه، وأصدقائه، وزملائه، ومع كل المسالمين له ولدينه، ورسالته. كما أن أمره بأن يتخلق بالعنف، والخشنة، والشدة، والقوة، في التعامل مع أعداء دينه ورسالته، من الكافرين، والمنافقين، والطغاة، والظالمين، والمستكبرين.

ومن الناس من يتصور بأن الإسلام لا يؤمن بالعنف – في موضعه -، وبالمواجهة. والمقاومة، فهو – حسب رأيهم – دين اللين، والرفق والسلم حتى مع الطغاة الظالمين. ولما رأى الحكام الطغاة الظلمة أن هذه الفكرة تخدمهم، وتطيل بقاءهم على رأس السلطة لجأوا إلى البطش، والتنكيل، والقمع حين حدوث أي معارضة، أو مقاومة شعبية مدعين بأن هذا خِلاف الإسلام، حيث لا سياسة في الإسلام في نظرهم. ومن هنا انبثقت فكرة الفصل بين الدين والسياسة، التي يرفضها الإسلام جملةً، وتفصيلاً. وفي واقعنا المعاصر أمثلة حية على هذه الفكرة. فالحكام الطغاة المتسلطون على الشعوب الإسلامية، ما أن يشعروا بانتفاضة، أو مقاومة شعبية – جوهرها الإسلام – ضدهم، سمعت إذاعاتهم، ورأيت صحفهم ومجلاتهم، وكل وسائل الإعلامية، تجترّ هذه العبارة: (الدين شيء، والسياسة شيء آخر، ولا علاقة للدين بالسياسة)، ورأيت لغة القمع، والإرهاب هي اللغة الحاكمة والمستخدمة.

***

وكمثال على ذلك: في يناير ١٩٧٧ حدثت إنتفاضة شعبية كبرى في مصر، على أثر رفع السلطة لأسعار الخبز – كسبب جزئي أعلنته حكومة السادات – وخرجت

التظاهـرات الشـعبية الكـبرى في مدينـة القاهـرة، وكان للإسـلاميين والجماعـات الإسـلامية الـدور الكبـير فيهـا. فقـام النظـام بفـرض الأحـكام العرفيـة، وأعلـن حظر التجول، وأنزل الدبابات، والمصفحات في الشـوارع، والميادين. وفي حديث للسـادات، نُقـل بالراديـو، والتلفزيـون وفي كل وسـائل الإعـلام المصريـة، قـال فيـه: إن ما حدث هـو إنتفاضـة حراميـة، وليـس انتفاضـة شـعبية وإن الديـن شيء، والسياسـة شيء آخـر، فمـن أراد الديـن والعبـادات، فليذهـب إلى المسـاجد، ومـن أراد السياسـة، فليتعاطاهـا مـن خـلال منـبر رسـمي، يريـد تحـت إشراف سـلطته، وهيمنتها.

***

صحيـح أن الإسـلام هـو ديـن اللـين، والرفـق والرحمـة، ويرفـق حتى بأعدائـه، ولكن إذا عُرّضـت مبـادؤه للإسـتهزاء، أو الخـرق، أو التزييف، هل يصـح أن يقدم باقة ورد لمن يسـتهزئ بـه، ويخرقه، ويزيـف مبادؤه؟!

كلا!

إنـه هنـا يعتـبر العنـف، والشـدة، والقـوة – ودون مبالغـة في إسـتخدامها – هـي الوسـيلة الموضوعية لرد من يسـتخف به، ويتسـتر وراءه، ويحاول تزييفه، وتحريفه.

يقول الإمام علي (ع): «من أحد سنان الغضب لله، قوي على قتل أشداء الباطل»[١].

ولقـد أوضـح لنـا القـرآن الحكيـم، القاعـدة الإسـلامية، لتعامـل الإنسـان مـع إخوته المؤمنـين، ومـع الكفـار والمنافقـين، والطغـاة والظلمـة، والمسـتكبرين، فقـال تعـالى:

﴿مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللَّـهِ وَالَّذِيـنَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَـلَى الْكُفَّـارِ رُحَـمَاءُ بَيْنَهُـمْ تَرَاهُـمْ رُكَّعـاً سُـجَّداً يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِـنْ اللَّـهِ وَرِضْوَانـاً سِـيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِـمْ مِـنْ أَثَـرِ السُّـجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُـمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَمَثَلُهُـمْ فِي الإِنْجِيـلِ كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ فَـآزَرَهُ فَاسْـتَغْلَظَ فَاسْـتَوَى عَـلَى سُـوقِهِ يُعْجِـبُ الـزُّرَّاعَ لِيَغِيـظَ بِهِـمْ الْكُفَّـارَ وَعَـدَ اللَّـهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ مِنْهُـمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِيـماً﴾[٢].

١. نهج البلاغة – ص ٥٠١

٢. سورة الفتح، الآية: ٢٩

ويقول – تعالى – أيضا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ومما يلاحظه المتأمل في الآية الكريمة الأولى، إن الشدة على الكافرين، تقدمت عن الرحمة بين المؤمنين، مما يبرز أهمية جانب الشدة، أو القوة في انتصار الإسلام على الكفر، وعودة الأخلاق، والمبادئ والقيم إلى ميدان الإجتماع. فضلاً عن أن اللين، والرفق، والرحمة، والتسامح فيما بين المؤمنين، قاعدة رئيسية، مطلوبة قبل كل شيء للتعامل فيما بينهم، وإلا لا قيمة للعنف، والكفاح والدفاع إذا لم تقام على أساس التآخي، والتراحم، والرفق واللين بين المؤمنين.

يقول الشاعر:

لا يغرّنّك أنني ليّن المسّ *** فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد، فيه راحة قوم *** ثم فيه لآخرين حمام

إن المؤمنين فيما بينهم يجب أن يكونوا أذلة، لكنهم في مقابل الكافرين، والمستكبرين، والطغاة، يجب أن يكونوا أعزاء، أشداء، أقوياء، لأن القوة والشدة – ضد الكافرين، والطغاة الظالمين – كدفاع عن الإسلام وقيمه ومبادئه وجوهره – واجبة من جهة، ومن جهة أخرى إنها الوسيلة الموضعية للحفاظ على الوجود الإسلامي، والدفاع، ورد العدوان عنه.

وللقوة دور كبير في الدفاع عن الإسلام وفي تبليغ رسالته الإسلامية، لا سيما في ظل الواقع الذي يتسلط عليه حكام ظلمة، لم يستنيروا بنور القرآن، بل يحاربونه وباسمه. فهم مُسلمون، ولكن بالاسم فقط، أما عن سياستهم، وبرامجهم، والأجواء التي يشيعونها في البلاد، فحدّث ولا حرج، فهي تناقض الإسلام، وتُسئ إليه، وتُهينه، بما للتناقض، والإساءة، والإهانة من معنى.

١. سورة المائدة، الآية: ٥٤

والجهـاد في الإسـلام – بمعنـى القتـال – يمثل أحد جوانـب القوة الرئيسـية فيه، وهو نوعان:

الأول: الجهاد من أجل الدعوة إلى الإسلام، ونشر رسالته. وهو إبتدائي، وذلك بأن يجيش المسلمين الجيوش بمحاربة الكفار. وهو يجب على المسلمين مرة واحدة في كل عام، مع التمكن على رأي مشهور الفقهاء، وإن كان الأقوى، وجوبه دائما حسب التمكن.

والثـاني: الدفـاع عن الإسـلام، وقيمـة ومبادئه، وعن المسـلمين، وبلادهـم، وأعراضهم، وأموالهـم وعن الحـق إطلاقا.

وللجهاد من أجل الدعوة إلى الإسلام شروط يجب أن تتوفر للإنسان المقاتل، وهي:

- البلوغ.
- العقل.
- الحرية.
- الذكورة. ولو احتاج الأمر إلى النساء وجب.
- السلامة من الضرر، الذي يعيقه من الجهاد، كالعمى، والعرج.
- أن لا يكون شيخاً.
- أن تكـون عنـده أسـلحة للقتـال، فلا يجـوز الجهاد عـلى الفقير الذي لا يمكنـه شراء السـلاح واقتناؤه.
- وجود النفقة للإنسان، ولعياله مدة غيابه عنهم، في المعركة.
- إذن الإمـام، أو نائبـه الخـاص[1] الـذي نـص عليـه، وأسـماه بالـذات أو نائبـه العـام[2]. وهـذا النوع مـن الجهاد يجـب وجوباً كفائيـا لا عينياً، أي إذا قـام بـه قسـم كاف مـن المسـلمين، سـقط عـن الآخريـن منهم.

١. النائب الخاص، هو ذلك الإنسان الذي يعينه الإمام المعصوم من أئمة أهل البيت ع. الاثنا عشر بنفسه. ولقد عين الإمام الحجة عج. – وهو الإمام الثاني عشر – في عهد الغيبة الصغرى التي امتدت سبعين عاماً، عين له خمسة نواب خاصين.

٢. النائب العام، هو الإمام العام الذي لم يعينه تعييناً خاصاً، وهو كل فقيه مجتهد جامع للشرائط في عصر الغيبة الكبرى، والشرائط هي: الاجتهاد، والعدالة، والورع في دين الله، وعدم الانكباب على الدنيا والحرص عليها جاهاً ومالاً، والذكورة، والبلوغ، والعقل، وطهارة المولد، والحياة، وإن يكون شيعياً اثني عشرياً.

أما الدفاع، أو الجهاد الدفاعي عن الإسلام، وبلاد المسلمين، وعن النفس، والمال، والعرض، والحق إطلاقاً، على شريطة أن يكون القصد خالصاً لله تعالى، هذا الجهاد لا يُشترط فيه إذن الإمام، ولا نائبه الخاص، أو العام، ولا شيء من الشروط السابقة الذكر، ويجب عيناً، لا كفاية - بالنسبة إلى الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين - على كل من كان في دفاعه أدنى نفع لصد العدوان عن الإسلام، وأهله، دون فرق بين الرجل، والمرأة، ولا بين الأعرج، والصحيح، ولا بين الأعمى، والبصير، ولا بين المريض والسليم [1].

وفي وقتنا الحاضر، حيث عهد النيابة العامة، يعتبر الجهاد من أجل الإسلام جهاداً دفاعياً، أو دفاعاً، حتى لو اتخذ شكل الإبتداء، والغزو والتحرير. وكل ما نشاهده من أعمال إسلامية مسلحة - في عالمنا اليوم - يدخل في إطار الجهاد الدفاعي.

وللجهاد دور كبير جداً في الدفاع عن الإسلام، والمسلمين، وفي نشر الرسالة الإسلامية. ففي صدر الإسلام وجدنا الكثير من البلاد دخلت في الإسلام عن طريق الغزو، والفتح. وهذا الأمر يوضح لنا أن إسلوب اللين والرفق - والذي يتمثل في نشر الأخلاق، والثقافة الإسلامية - ليس هو الإسلوب الوحيد لنشر الرسالة، بل للقوة والجهاد، والكفاح المسلح دور كبير في ذلك. مع العلم بأن للثقافة الإسلامية، ونشرها دور أولي في الدعوة إلى الإسلام، والقيام بالثورة الإسلامية.

نعود فنقول:

أن هناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، والروايات، تولي إهتماماً كبيراً بجانب القوة، والقتال، والجهاد من أجل الدعوة إلى الإسلام، ومن أجل الدفاع عنه، وعن المسلمين، ومنها:

يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

---

١. لمعرفة التفاصيل عن الجهاد بقسميه، راجع الرسائل العملية للفقهاء المراجع.

اللَّـهِ فَيَقْتُلُـونَ وَيُقْتَلُـونَ وَعْـداً عَلَيْـهِ حَقّـاً فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنجِيـلِ وَالْقُـرْآنِ وَمَـنْ أَوْفَى بِعَهْـدِهِ مِـنْ اللَّهِ فَاسْـتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُـمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِـهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

ويقول تعالى أيضاً:

﴿لا يَسْـتَوِي الْقَاعِـدُونَ مِـنْ الْمُؤْمِنِـينَ غَـيْرُ أُوْلِي الـضَّرَرِ وَالْمُجَاهِـدُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِـمْ وَأَنفُسِـهِمْ فَضَّـلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِيـنَ بِأَمْوَالِهِـمْ وَأَنفُسِـهِمْ عَـلَى الْقَاعِدِيـنَ دَرَجَـةً وَكُلاًّ وَعَـدَ اللَّهُ الْحُسْـنَى وَفَضَّلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِيـنَ أَجْراً عَظِيماً. دَرَجَـاتٍ مِنْـهُ وَمَغْفِـرَةً وَرَحْمَـةً وَكَانَ اللَّـهُ غَفُـوراً رَحِيماً﴾[٢].

ويقول – تعالى – أيضاً:

﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُـمْ وَآخَرِيـنَ مِـنْ دُونِهِـمْ لا تَعْلَمُونَهُـمْ اللَّـهُ يَعْلَمُهُـمْ وَمَـا تُنفِقُوا مِـنْ شَيْءٍ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُـمْ وَأَنْتُـمْ لا تُظْلَمُـونَ﴾[٣].

ويقول – تعالى – أيضاً:

﴿يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ حَـرِّضْ الْمُؤْمِنِـينَ عَـلَى الْقِتَـالِ إِنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ عِـشْرُونَ صَابِـرُونَ يَغْلِبُـوا مِائَتَـيْنِ وَإِنْ يَكُـنْ مِنْكُـمْ مِائَـةٌ يَغْلِبُـوا أَلْفـاً مِـنْ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا بِأَنَّهُـمْ قَـوْمٌ لا يَفْقَهُـونَ﴾[٤].

ويقول رسول الله (ص):

«مـن تـرك الجهـاد، ألبسـه اللـه ذُلاً، وفقـراً في معيشـته، ومحقـاً في دينـه، إن اللـه – تبـارك وتعـالى – أعـزّ أمتـي بسـنابك خيلهـا، ومراكز رماحهـا»[٥].

١. سورة التوبة، الآية: ١١١
٢. سورة النساء، الآية: ٩٥ – ٩٦
٣. سورة الأنفال، الآية: ٦٠
٤. سورة الأنفال، الآية: ٦٥
٥. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ١٣٢

ويقول الإمام علي (ع):

«أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينه، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه[1] ألبسه الله ثوب الذُل، وشَمله البلاء، وديت بالصغار[2]، والقماءة[3]، وضُرب على قلبه بالأسهاب[4]، وأديل[5] الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[6]، ومنع النصف[7]»[8].

ويقول (ع) أيضا:

«الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار»[9].

ويقول الرسول الأعظم (ص):

«من مات، ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»[10].

وعن عثمان بن مظعون قال: قلت لرسول الله (ص): إن نفسي تحدثني بالسياحة، وأن الحق بالجبال فقال: «يا عثمان! لا تفعل فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد»[11].

ويقول (ص) أيضاً:

«من جهز غازياً بسلك أو إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[12].

١. زهداً فيه
٢. ذلل
٣. الصغار والذل
٤. ذهاب العقل
٥. صارت الدولة للحق بدله
٦. أولي الذل والمشقة
٧. حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه
٨. نهج البلاغة – ص ٦٩
٩. ميزان الحكمة – ج ٤ – ص ٥٠٣
١٠. المصدر السابق – ج ٢ – ص ١٢٥
١١. وسائل الشيعة – ج ١١ – ص ١٠
١٢. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ١٢٨

ومـن القضايـا الهامـة التـي ترتبـط بجانـب القـوة، والشـدة في الأخـلاق مـن جهـة، وبالحكمـة مـن جهـة أخـرى، ويمكـن الإشـارة إليهـا، قضيـة الصحـوة الإسـلامية المعـاصرة وانتشـار الثـورة الإسـلامية، التـي وقـف الغـرب، والـشرق أمامهـا، لمنـع الإسـلام المحمـدي الأصيـل مـن الإنتشـار، واتسـاع الرقعـة، بتقويـظ أنظمـة الظلـم والطغيـان الحاكمـة، ووصـف جميـع الأعـمال التـي تصـب في مجـال الثـورة عـلى الظلـم، والعسـف، والإضطهـاد، والإسـتعباد، والتحرر من قيود تلـك الأنظمة، وصفها بأنهـا أعـمال تخريبيـة، وإرهابية. بينـما المذابح التـي تقوم بها هـذه الأنظمة، وتلك التـي تقـوم بهـا الإمبرياليـة العالميـة، وحُلفاؤهـا في العـالم، كالمجـازر التـي قامت بها أمريـكا في الشـعب الفيتنامـي. والقصـف الهمجي الـذي قامت به حاملـة الطائرات الأمريكيـة «نيوجـرسي» للمسـلمين في بـيروت الغربيـة عـام ١٩٨٢.

ومـن النقـاط الرئيسـية في الحكمة، والأخـلاق، أن الأخذ، والإيمـان، والعمل بالجانب الأخلاقـي اللـيّن في الإسـلام، وتـرك جانـب القـوة، هو تجزئ للإسـلام الـذي هو كل لا يقبـل التجـزئ. ويبقـى للظروف أثـر في تحديد الوسـيلة المسـتخدمة، في الكفاح من أجل الإسـلام، ورسالته.

يقول تعالي:

﴿ثُـمَّ أَنْتُـمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُـونَ أَنفُسَـكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُـمْ مِنْ دِيَارِهِـمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِـمْ بِالإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَـارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَـرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُـونَ بِبَعْـضِ الْكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْـضٍ فَـمَا جَـزَاءُ مَـنْ يَفْعَـلُ ذَلِـكَ مِنْكُـمْ إِلاَّ خِـزْيٌ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يُـرَدُّونَ إِلَى أَشَـدِّ الْعَـذَابِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ومـن جهـة أخـرى أن جانـب القوة يمثـل القلعة التي تحمي الإسـلام ومبـادءه، وهو عامل من عوامل البقاء والإسـتمرار الرئيسـية للإسـلام، والمسـلمين.

ولـو تأملنـا تاريـخ المسـلمين، لوجدنـا أنـه في الفـترات التـي كانـوا يأخـذون فيهـا بالجهـاد، ويعملـون بـه - وهـو عامـل وخلـق قـوة - في هـذه الفـترات كانـوا أعزاء،

١. سورة البقرة، الآية: ٨٥

أقويـاء، مرفوعـي الـرأس، يخافهـم، ويهابهـم الأعـداء، ويحسـبون لهم ألف حسـب، بينـما في الفـترات التـي تخلـوا فيهـا عـن الجهـاد، وركنـوا إلى القعود، والجمـود، كان الإسـتعمار يتحكـم فيهـم، ويذلهـم إمـا إذلال، ويسـتهين بدينهـم، وبمُعتقداتهـم، ومُقدسـاتهم، ويَبطـش، ويَنـكل بهـم أيمـا بطـش، وأيمـا تنكيـل!

وكمثـال مـن الواقـع، لو قارنا بين حال المسـلمين في لبنان قبل إنتصار الثورة الإسـلامية، وبـين حالهـم بعـد إنتصارهـا. لوجدنـا بونـاً شاسـعاً. فقبل إنتصـار الثـورة كان الجمود يـضرب أطنابـه، والفسـاد وصـل إلى درجـة كبـيرة، بينـما بعـد إنتصـار الثـورة، وتأثـر المسـلمين اللبنانيـين بهـا، حدثـت موجـة تدين قويـة، وحالة ثورية نشـطة، واسـتطاع المسـلمون أن يلقنوا الدول الغربية – في لبنان – دروسـاً لن ينسـوها أبداً، فاسـتطاعوا أن يفجـروا مركـز قـوات البحريـة الأمريكيـة (المارينـز)، ويقتلـوا أكثر مـن ثلاثمائة من الضبـاط، والجنـود الأمريكيـين، ثـم فجـروا مركـز القـوات الفرنسـية، ثم مركـز الحاكم الإسرائيـلي في صـور، ثم اسـتطاعوا أن يطردوا الإسرائيليين إلى ما يسـمى بمنطقة الحزام الأمنـي – التـي أوجدهـا الصهاينـة على أرض لبنـان من أجل حماية أنفسـهم – ولقنوا إسرائيـل درسـاً لا يُنـسى، حتـى قال مسـؤول كبير في الجيـش الإسرائيـلي: نحن لا يمكن لنـا أن نواصـل البقـاء في أرض بلـد، يتلهى أطفالـه بصيد الطيور بالكلاشـينكوف.

يقول الإمام علي (ع):

«إلا وإني قـد دعوتكـم إلى قِتـال هـؤلاء القوم ليـلًا، ونهـاراً، وسراً، وإعلانـاً، وقلت لكم: اغزوهـم قبـل أن يغزوكـم، فـو اللـه! ما غزي قـوط قط في عقـر دارهم إلا ذلـوا ...»[1].

ويقول (ع) أيضاً:

«الوفاء لأهل الغدر، غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر، وفاء عند الله»[2].

ويقول (ع) أيضاً:

«ردوا الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر»[3].

---

١. نهج البلاغة – ص ٦٩

٢. المصدر السابق – ص ٥١٣

٣. المصدر السابق – ص ٥٣٠

وبكلمة:

إن الأخلاق ثمرة الحكمة، ومن الحكمة أن تكون أخلاقياً، بما لكلمة الأخلاق من معنى، رحيماً، رفيقاً بالمؤمنين، والمسالمين، وشديداً، قوياً على أعداء الإسلام، ورسالته الخالدة.

والآن فلكي نكتسب الحكمة، ونجعل تصرفاتنا حكيمة خليق بنا اتباع القواعد التالية:

- أن نتحلى بالأخلاق الإسلامية، ونجعلها عادات، وسجايا، وطباع، وتقاليد حسنة فينا.
- أن نتحلى بأمهات الأخلاق، ونحافظ على اعتدال أنفسنا في العلم، والشهوة، والغضب لكي نكون في إطار الفضيلة.
- أن نجعل الأخلاق الفاضلة ديدننا، وطريق الخير الذي لا نزوع عنه، وأن لا نجعلها تكتيكات مؤقتة لإبراز الظاهر الأخلاقي دون الباطن، أو لتحقيق المطامع، والضحك على ذقون الناس.
- أن نجعل أخلاقنا أخلاق تماس، ومعاشرة، وتعامل مع الناس، فأخلاق الإنسان لا تقاس حينما يكون وحده، وبينه وبين نفسه، وإنما باحتكاكه مع الناس.
- أن نتخذ الرمز في التحلي بالأخلاق الفاضلة، فرمزنا الأعلى هو الله، ومن رموزنا العظام رسولنا الأكرم (ص)، الذي هو على خُلق عظيم .
- أن لا نفهم الأخلاق ونمارسها بشكل تجزيئي، فالأخلاق منها لِين ورحمة، ومنها قوة وشدة، فاللين والرحمة مع الأخوة والأصدقاء والطيبين، والقوة والشدة مع الأعداء والطغاة والمستكبرين.

أحاديث شريفة في الأخلاق

«الخُلق، وعاء الدين»[١]. (الرسول الأعظم).

«الإسلام حُسن الخُلق»[٢]. (الرسول الأعظم).

«إن أحسن الحُسن، حُسن الخُلق»[٣]. (الإمام الحسن).

«الخُلق الحَسن نصف الدين»[٤]. (الرسول الأعظم).

«لا قرين كحُسن الخلق»[٥]. (الرسول الأعظم).

«الخُلق المحمود من ثمار العقل، الخُلق المذموم من ثمار الجهل»[٦]. (الإمام علي).

«لو يعلم العبد ما في حسن الخلق لعلم إنه محتاج أن يكون له خلق حَسن»[٧]. (الرسول الأعظم).

«حُسن الخُلق رأس كل بر»[٨]. (الإمام علي).

«من حَسنت خَليقته طابت عِشرته»[٩]. (الإمام علي).

«إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حُسن الخُلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح»[١٠]. (الإمام الصادق).

«أول ما يُوضع في ميزان العبد يوم القيامة حُسن خُلقه»[١١]. (الرسول الأعظم).

١. كنز العمال - خطبة ٥١٣٧
٢. المصدر السابق - خبة ٥٢١٥
٣. بحار الأنوار - ج ٧١ - ص ٣٦٨
٤. المصدر السابق - ج ٧١ - ص ٣٨٥
٥. المصدر السابق - ج ٧١ - ص ٣٨٧
٦. ميزان الحكمة - ج ٣ - ص ١٣٨
٧. البحار - ج ١٠ - ص ٣٦٩
٨. ميزان الحكمة - ج ٣ - ص ١٣٨
٩. المصدر السابق - ص ١٣٩
١٠. البحار - ج ٧١ - ص ٣٧٧
١١. المصدر السابق - ج ٧١ - ص ٣٨٥

«كان فيما خاطب الله تعالى نبيه (ص) أن قال له: يا محمد ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: «السخاء، وحُسن الخلق»[١]. (الإمام الصادق).

عن النبي (ص) انه قال للإمام علي (ع): «ألا أخبرك بأشبهكم بي خُلقا»؟ قال: «بلى يا رسول الله»، قال: «أحسنكم خلقاً، أعظمكم حلماً، وأبركم بقرابته، وأشدكم من نفسه إنصافاً»[٢]. (الرسول الأعظم).

قيل للصادق (ع) ما حد حُسن الخُلق؟ قال: «تلين جانبك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببُشر حَسن»[٣].

«إنما تفسير حُسن الخُلق ما أصاب بالدنيا يرضى، وإن لم يصبه لم يَسخط»[٤]. (الرسول الأعظم).

«رأس العلم، والتمييز بين الأخلاق، وإظهار محمودها وقمع مذمومها»[٥]. (الإمام علي).

«عنوان صحيفة المؤمن حُسن خُلقة»[٦]. (الإمام علي).

«لا عيش أهنأ من حُسن الخُلق»[٧]. (الإمام الصادق).

«الخُلق مِنحة يمنحها الله من شاء من خَلقه، فمنه سَجية، ومنه نِية، قلت: فأيهما أفضل؟ قال: صاحب النِية أفضل، فإن صاحب السَجية هو المجبول على الأمر الذي لا يستطيع غيره، وصاحب النية هو الذي يتصبر على الطاعة فيصبر فهذا أفضل»[٨]. (الإمام الصادق).

«عليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشريف، وتهدم المجد»[٩]. (الإمام علي).

١. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٤١
٢. مكارم الأخلاق – ص ١٧٠
٣. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٤٢
٤. كنز العمال – خطبة ٥٢٢٩
٥. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٤٤
٦. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٣٨
٧. المصدر السابق – ص ١٣٩
٨. المصدر السابق – ص ١٤٥
٩. المصدر السابق – ص ١٤٦

«خير المكارم الإيثار»[١]. (الإمام علي).

«عود نفسك السماح، وتخير لها من كل خُلق أحسنه، فإن الخير عادة»[٢].

«تجنب من كل خُلق أسواه، وجاهد نفسك على تجنبه، فإن الشر لجاجة»[٣]. (الإمام علي).

«حُسن الخُلق يُزِيد في الرزق»[٤]. (الإمام الصادق).

«حُسن الخُلق يدر الأرزاق، ويؤنس الرفاق»[٥]. (الإمام علي).

«إن البر وحُسن الخُلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»[٦]. (الإمام الصادق).

«إن حُسن الخُلق يُذيب الخطيئة كما تُذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخُلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[٧]. (الإمام الصادق).

«حُسن الخلق يُثبت المودة»[٨]. (الرسول الأعظم).

«من حَسُن خلقه كثُر محبُوه وآنُست النفوس به»[٩]. (الإمام علي).

«حَسن خُلقك يخفف الله عذابك»[١٠]. (الرسول الأعظم).

قال لقمان لإبنه: «يا بني! إن عدمك ما تصل به قرابتك، وتتفضل به على إخوانك، فلا يُعْد مَنّك حُسن الخُلق، وبسط البشر، فإنه من أحَسن خُلقه، أحبه الأخيار وجانبه الفُجار»[١١]. (الإمام الصادق).

١. المصدر السابق – ص ١٥٠
٢. المصدر السابق – ص ١٥١
٣. الغرر والدرر
٤. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٥١
٥. المصدر السابق – ص ١٥١
٦. المصدر السابق – ص ١٥١
٧. المصدر السابق – ص ١٥١
٨. المصدر السابق – ص ١٥١
٩. المصدر السابق – ص ١٥١
١٠. المصدر السابق – ص ١٥٢
١١. المصدر السابق – ص ١٥٢

أبي الله لصاحب الخُلق السيء بالتوبة، فقيل: يا رسول الله! وكيف ذلك؟ قال: «لأنه إذا تاب من ذنب وقع في أعظم من الذنب الذي تاب منه»[١]. (الرسول الأعظم).

«سوء الخُلق شرُ قرين»[٢]. (الإمام علي).

«سوء الخُلق نكد العيش، وعذاب النفس»[٣]. (الإمام علي).

«قال لقمان لإبنه: يا بني! إياك والضَجر، وسوء الخُلق، وقلة الصبر فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب، والزم نفسك التؤدة في أمورك، وصبر على مؤونات الإخوان نفسك، وحَسن مع جميع الناس خلقك»[٤]. (الإمام الصادق).

«ألا أُخبركم بأبعدكم مني شبهاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الفاحش، المتفحش، البذي، البخيل، الحقود، الحسُود، القاسي القلب، البعيد من كل خير يُرجى، غير المأمون من كل شر يُتقى»[٥]. (الرسول الأعظم).

سئل الباقر (ع) عن أفضل الأخلاق، فقال: «الصبر والسماحة»[٦].

«أكرم الأخلاق السخاء، وأعمها نفعاً العدل»[٧]. (الإمام علي).

«أشرف الخلائق، التواضع والحِلم ولين الجانب»[٨]. (الإمام علي).

«أحسن الأخلاق ما حملك على المكارم»[٩]. (الإمام علي).

«إن أزين الأخلاق الورع والعفاف»[١٠]. (الإمام علي).

١. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٥٣
٢. المصدر السابق – ص ١٥٣
٣. الغرر والدرر
٤. ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ١٥٣
٥. المصدر السابق – ص ١٥٥
٦. المصدر السابق – ص ١٥٦
٧. المصدر السابق – ص ١٥٦
٨. المصدر السابق – ص ١٥٦
٩. المصدر السابق – ص ١٥٦
١٠. المصدر السابق – ص ١٥٦

«عـن يحيـى بـن عمـران الحلبـي قـال: قلـت لأبي عبـد اللـه (ع): أي الخِصـال بالمرء أجمـل؟ فقال:

«وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وتشاغل بغير متاع الدنيا»[1].

«إذا كان في الرجل خِلة رائعة فانتظر أخواتها»[2]. (الإمام علي).

١. المصدر السابق – ص ١٥٧

٢. المصدر السابق – ص ١٥٧

موانع التصرف الحكيم

يقول الإمام علي (ع): «غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة»[١].

ويقول السيد المسيح (ع):

«أنه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق [٢]. وكذلك القلوب، ليس على كل حال تُعمر الحكمة فيها. إن الزق ما لم ينخرق، أو يقحل، أو يتفل، فسوف يكون للعسل وعاءً، وكذلك القلوب، ما لم تخرقها الشهوات، ويدنسها الطمع، ويغنيها النعيم، فسوف تكون أوعية للحكمة»[٣].

من تعاريف الحكمة - كما مّر - العقل. وهذا العقل الذي هو مصدر التفكير الإنساني، قد تؤثر عليه مجموعة من العوامل المختلفة، وتغلبه، وبالتالي تجعل تفكير الإنسان، وتصرفاته، وأعماله، وأفعاله، غير حكيمة، ولا منطقية -إن صح التعبير - ومن تلك العوامل التي تؤثر على عقل الإنسان، وحكمته، وتفكيره، وأفعاله، وتمنعه من النقل والحكمة، ما يلي: -

❖ أولاً: العوامل النفسية[٤]:

يتصور الكثيرون أن مشكلة التفكير، والتصرف العملي للإنسان، مشكلة عقلية محضة، لا علاقة لها بالنفس. وبالتالي - حسب هذا الرأي- يحتاج الإنسان إلى قواعد لتنظيم أفكاره، وممارساته الفعلية.

والحقيقية أن مشكلة التفكير، والعمل ليس كذلك، بل هي نفسية قبل أن تكون عقلية، ولذلك فإن نفس الإنسان بحاجة إلى معالجة، قبل أن نضع قواعد لعقله، وتنظيم تفكيره وسلوكه العملي.

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٩
٢. مفردها زق، وهو جلد يجز و لا ينتف، ويستعمل لحمل، أو لوضع العسل فيه.
٣. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٨
٤. للإطلاع على التفاصيل، راجع كتاب «المنطق الإسلامي»

الغرائز، وهوى النفس:

يقول تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1].

وفي الإنسان مجموعة من الغرائز، أو الشهوات، كشهوة الطعام، والشراب، وشهوة الجنس، وشهوة حب الأولاد، وشهوة السلطة، وشهوة إتباع السلطان، وشهوة التملك، .... إلخ.

والنظرة العميقة تهدي إلى وحدة الغرائز السيكولوجية، أي أنها تنبع من جزء واحد، هو هوى النفس، أو حب الذات، ورجاء الخير لها، والخشية عليها من الشر. غير أن هذه الوحدة السيكولوجية، لا تتنافى مع الإختلاف الفسيولوجي، والبيولوجي للغرائز. ومن هنا يتوضح لنا أن الأهواء النفسية، من أهم موانع الحكمة عن الإنسان. والمقصود هنا بالأهواء النفسية التفكير في ما تهواه النفس، وتحبه، وفعل ما تهواه النفس وتحبه، حتى لو كان مخالفاً لما يراه العقل وهي: الإفراط في حب الذات، وإستخدام الغرائز خارج نطاقها الشرعي.

يقول الإمام علي (ع): «الهوى عدو العقل»[2].

الجذور النفسية لموانع الحكمة:

تتنازع النفس البشرية طاقتان، هما طاقتا: العقل، والجهل. والجهل طاقة ذاتية نابعة من طبيعة وجود الإنسان الناقص. والعقل هبة من الله – سبحانه وتعالى – للإنسان. وإن كل ما يعتري النفس البشرية من إنشداد إلى المادة، هو بسبب طبيعتها الذاتية. وما الجذور النفسية للأخطاء، وموانع الحكمة إلا مظاهر، وإنعكاسات لطبيعة النفس الذاتية. والجذور النفسية هي:

- **الحب:**

الحب هو إنجذاب النفس إلى شيء. وهو ضغط الجانب النفسي الذي يحدثه

١. سورة النازعات، الآية: ٤٠ – ٤١

٢. شرح الغرر والدرر – ج ٧ - ص ٤٢٥

الحـب، عـلى الإرادة، وهنـاك إمـا أن يرضخ الإنسـان للحـب، أو أنه يرفـض الخضوع لـه. فـإذا إنجذبـت النفـس إلى الـشيء بتوجيـه مـن العقـل، فـإن هـذا الحـب، حب عقـلي، أي يوافقـه العقـل. وأمـا إذا إنجذبت إلى الـشيء بخلاف العقـل، وأحبته، فإن الحـب هنـا هـو الحـب النفسي المخالـف للعقل، وهو هـوى النفس المانـع للحكمة.

حـب الـذات: ولا شـك أن حـب الذات المفـرط يعمي الإنسـان، ويمنـع الحكمة فيه، لأنـه تعصب لأفـكار الذات.

حـب الآبـاء: وحـب الآباء يـؤدي إلى أن يقلدهم الأبنـاء. فإذا كان الآبـاء غير حكماء، وغـير عقـلاء، وسـلوكهم العمـلي منحرفـاً، فـإن تفكـير، وسـلوك الأبنـاء سـيأتي، غـير حكيـم، ومنحـرف، أيضاً.

حـب البيئـة: فإذا كانـت البيئة غير سـليمة، ومنحرفة، وأحبها الإنسـان، فإن تفكيره، وتصرفه، وسـلوكه العملي، سـيتأثر بها.

حـب السـلف: السـلف المقصود منـه الأجداد، ومن يرتبط بالإنسـان مـن المتقدمين. فإذا كان السـلف ذا تفكير، وسـلوك عملي منحرف، وأحبهم الإنسـان، فإنه قد يفكر كـما كانوا يفكـرون، ويعمل كما كانـوا يعملون.

- **فقدان الثقة:**

الإنسـان الفاقـد لثقتـه بنفسـه، قـد لا يمكنـه التفكير، وربمـا لا يفكـر، وإن كان قادراً عليـه، وقـد لا يمكنـه التطبيـق والعمـل، ثم أنـه لا يجـزم بنتيجة تفكـير ويفقد ثقته بنفسـه في التطبيـق. ومـن لا يمكنـه التفكير، والجـزم بنتيجة تفكـيره، ويفقد ثقته في التطبيـق والعمـل هـو ممنوع مـن الحكمة، بـلا ترديد.

ومن نتائجه:

الإنغـلاق: دون مصـادر الوعـي، والمعرفـة، والـذي يـؤدي بالتـالي إلى إبعـاد الإنسـان عـن الحكمـة، ومنعـه منها.

الذوبـان في شـخصية: ولقـد فقـد كثـير مـن الأفـراد. بـل وحتى أمـم، فقـدوا إيمانهم بأنفسـهم، وبقدراتهـم، لأنهـم تـرددوا في الإعـتراف بحقيقـة إكتشـفوها، أو توصلـوا

إليها - تخالف لما توصلت إليه تلك الشخصية التي ذابوا فيها - وبديهة أن الذوبان في شخصية حكيمة كالرسول الأعظم (ص)، والإمام علي (ع)، وسائر أهل البيت (ع) تجعل من الإنسان حكيماً بلا شك.

التسرع: قال الإمام علي (ع) في وصية له عند وفاته: «... أنهاك عن التسرع في القول والفعل» [1].

التسرع صفة أو حالة تنشأ من غريزة حب الراحة. إن الحكمة، والتفكير المنطقي، والسلوك العملي السليم، يتطلب من الإنسان التروي، والتعقل، والتأني في التفكير، وتنفيذ نواتج التفكير، وهذه المسألة تتطلب من الإنسان جهداً، وتركيزاً. ولذلك تجد الكثيرين من الناس يلجأون إلى التسرع، لكي لا يجشموا أنفسهم عناء التفكير، والتعقل، والتنفيذ الحكيم، فيأتي تفكيرهم، وتصرفهم العملي خاطئاً، غير حكيم.

ويقول الرسول الأعظم (ص):

«من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد»[2].

ومن نتائجه:

التعميم الخاطئ: وهو الانطلاق من قضايا خاصة، وجعلها تعميماً. ولنضرب لهذا مثلاً بسيطاً: شخص يسمع شخصاً آخراً يكذب كذباً أبيضاً، على شخص ثالث متنازع مع شخص رابع، من أجل الإصلاح، فيقوم الشخص السامع، ويطلق حكماً كلياً على أن الشخص المتكلم كذاب دائماً، فيحول هذه الحالة الخاصة إلى تعميم كلي.

الإيمان والعمل بالأفكار الجاهزة: ويعني ذلك التسليم، والعمل بما توصل إليه الآخرون، وما عملوا به، دون تمحيص، وهذا خلاف الحكمة. إلا أن تلك الأفكار إذا كانت صائبة، فمن الحكمة الإيمان والعمل بها. ومن الحكمة الإستفادة مما توصل إليه الآخرون من أفكار صحيحة، ومن اللا حكمة البدء من الصفر فيها.

١. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٧٢.

٢. المصدر السابق - ص ٧٣

❖ ثانياً: وراثة الأفكار[١]:

من العوامل التي تؤثر على تفكير الإنسان، وممارسته العملية في الحياة، وراثة الأفكار. فإذا كانت هذه الأفكار خاطئة، فلا شك أنها تشكل عاملًا من عوامل الخطأ، ومانعاً من موانع الحكمة، أمام الإنسان. ووراثة الأفكار تتم بأكثر من طريق، وأهمها:

التربية: فضخامة الأفكار الموروثة من الأبوين، لا تعادلها إلا ضخامة العوامل التي تضغط على الوليد بإتباع والديه.

وعوامل تأثير التربية على أفكار الإنسان، وعمله كثيرة، أهمها:

- الفراغ. فالفراغ يؤلم الطفل، فإذا ما وجد عند أحد ما يسد هذا الفراغ، التهمه، وإلا إخترع لنفسه أوهاماً، يتشبث بها.
- إن حب أي شخص، يبعث على إتباع الفرد له. والطفل في حبه لأبويه، ومربيه، يدعوه إلى تقمص شخصيتهم.
- الإحترام. ويكون من أسباب نشوء حب التقليد في الطفل، لوالديه، ومربيه.

وحول مسألة تقليد الآباء، يقول القرآن الحكيم:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٢].

❖ ثالثاً: التوافق الإجتماعي[٣]:

يؤثر الإجتماع على الإنسان فكراً وعملًا. والتوافق الإجتماعي يعني: أن تحصل حالة إنسجام إجتماعي، بين شخص ما، وتجمع معين. فإذا كان التجمع طالحاً

١. للاطلاع على التفاصيل، راجع «المنطق الإسلامي»

٢. سورة الزخرف، الآية: ٢٣

٣. للاطلاع على التفاصيل، راجع «المنطق الإسلامي»

فـإن توافـق الإنسـان مـع هـذا التجمـع، قـد يصنـع منـه إنسـاناً طالحاً، غـير حكيم، وعكـس ذلـك صحيـح. إلا أننا يجب أن لا نهمل دور الفرد، وقدرته على الإسـتقلالية، والقيـم السـابقة التـي يملكهـا، ويسـتطيع أن يقيـس بها الضغـوط الإجتماعيـة، وأن يتحداها إذا شـاء.

ولعامل التوافق الإجتماعي ثلاث درجات، هي على الترتيب:

- عامل التجمع (الحشد).
- عامل الجماعة (الإنتماء).
- عامل المجتمع (البيئة).

والسـبب في تدريـج هـذه العوامـل أنهـا تسـير مـن مسـتويات التأثـيرات المؤقتـة، المبـاشرة، صاعـدة إلى مسـتويات التأثـير المسـتقرة، غـير المبـاشرة. فالفـرد في الحشـد يتلقـى منبهـات قويـة تؤثـر فيـه، بصـورة مبـاشر، مـما يجعلـه يحـس بأنـه واقـع - فعـلاً - تحـت تأثـير قـوة خارجية، تحـاول توجيه أفـكاره. بيد أن هذا التأثير سـيظل قويـاً مـا دام الفـرد في المجتمـع، فـإذا خـرج، كان أكـثر قُـدرة عـلى تقييـم مـا سـمع، ورفـض مـا شـاء منه.

وبعـد الحشـد يـأتي مسـتوى الجماعـة. فالفـرد في الجماعـة أكـثر تأثـراً بالتوجيهـات الفكريـة التـي يتلقاهـا من جماعته التي ينتمـي إليها، بالقيـاس إلى جماعات أخرى. ولكنهـا ليسـت - دائمـاً - توجيهـات مبـاشرة إذ قد يكـون تأثره بنـوع أفكارهم، آتيا مـن إتخـاذه أحدهـم قـدوة لـه. ولكنها أكـثر إسـتقراراً، لأن الفـرد قد يبقـى - لفترة طويلـة - متأثـراً بأفـكار الجماعة.

وبعـد الجماعـة، يـأتي مسـتوى المجتمع. وهـو أبطأ تأثـيراً من الجماعة، والحشـد، إلا أنـه أبقى أثـراً منهما.

عملية غسيل الدماغ[1]:

ومـن عوامـل الخطـأ، ومـن موانـع الحكمـة التـي تؤثـر في الإنسـان، غسـيل الدماغ،

١. راجع «المنطق الإسلامي»

وبإختصار هو جعل الفرد يؤمن، ويعترف بخطأ أفكاره، وسلوكه، وينصاع للأفكار، والتوجيهات الجديدة، بإستخدام وسائل معينة، كالضغوطات النفسية، مثل الفراغ، والإيحاء وغيره، والضغوطات الجسدية، مثل التعذيب الجسمي.

❖ رابعاً: الإنحرافات النفسية[١]:

للإنحرافات النفسية - المؤدية إلى الإنحرافات الأخلاقية - دور كبير في إضلال البشر، وهي تشكل مانعاً قوياً، من موانع الحكمة، أما الإنسان.

وللغرائز دور كبير في خلق الشخصية المنحرفة، غير الحكيمة، وتضليلها، وجعلها تتصف بالصفات السيئة، كالإجرام، والحقد، والحسد، والتكبر، والغرور، فيما إذا لم يضعها الإنسان في قناتها السليمة، وضمن الحدود الشرعية.

والغرائز، ومفردها غريزة، هي القوى الراسخة في طبيعة الإنسان، رسوخاً لا يمكن إنفصالها عنه. وتساوي كلمة الغريزة، الطبيعة، والفطرة، والبنية، إلا أن لفظة الغريزة، أقواها دلالة على المعنى المقصود، فهي مغروزة في الإنسان.

ومن العوامل التي ترتبط بالعوامل النفسية لموانع الحكمة، العامل الإقتصادي، بأبعاده الثلاثة: وسائل الإنتاج، وطريقة التوزيع، والمستوى العام. فهذه الأبعاد الثلاثة، تؤثر تأثيراً شاملًا على طبيعة الأمة، وعلى تفكيرها، وسلوكها العملي في الحياة.

❖ خامساً: العوامل المادية البيولوجية[٢]:

العوامل المادية (البيولوجية)، هي البيئة الطبيعية، سواء كان محور تأثيرها داخلياً كالمخدرات، وأنواع المنبهات، والأطعمة. أو كان خارجياً، كالحر، والبرد، والرطوبة، واليبوسة. أو كان عرضياً، وطارئاً، كالضعف المرضي، أو أصيلاً، كمستوى الذكاء، والفوارق العرقية، مع إختلاف الناس حولها.

---

١. المصدر السابق

٢. المصدر السابق

وهـذه العوامـل تؤثـر في الفكر البشري، وفي سـلوك الإنسـان العمـلي، وقد تكون من أشـد العوامـل ضغطاً عليـه، بإتجاه إرتكاب الأخطـاء واللاحكمة.

ويعتـبر الجهـل مـن العوامـل الرئيسـية التـي تمنـع الإنسـان مـن أن يكـون حكيـماً. ولذلـك تجـد الإسـلام يعطـي للعلـم والتعلـم والتعليـم، أهميـة كـبرى في الحيـاة، ويحـارب الأميـة والجهـل.

كـما أن مـن موانـع الحكمـة، أضداد تلـك القواعد المذكـورة في الفصل القـادم، حول مورثـات الحكمـة وأضداد تلـك القواعد هـي كالتالي: -

- حب الدنيا والحرص عليها.
- الخضوع، والإستسلام للشهوات، والأهواء النفسية.
- الخضوع، والإستسلام للشيطان.
- عدم إجتناب المعاصي، والأخطاء.
- الغضب، والطيش، والغيظ.
- الثرثرة الكلامية.
- النظر إلى ما حرم الله.
- البطنة، وعدم الإعتدال في الطعام.
- إطلاق اللسان، وعدم حفظه.
- التبصر في عيوب الغير، وعدم الإنشغال بعيوب النفس.
- الإسهاب في النطق، والكلام.
- إستعمال العنف مع الإخوان، والأصدقاء، والمسالمين.
- الكذب في الحديث.
- تضييع الأمانة، وعدم أدائها.
- التدخل فيما لا يعني.
- التكبر.
- الأخلاق السيئة، والإنحراف الأخلاقي.

لكي ترث الحكمة

الحكمة كغيرها من الأخلاقيات، وكمعرفة، لا تنبع من الفراغ، بل لابد لها من مصدر، أو منبع تنبع منه، أو سبب تتسبب منه، مثلها مثل البذرة، لا تنمو، ولا تترعرع إلا بعد أن نهيئ لها التربة الصالحة، والماء الجيد، والمحيط المناسب.

ولكي يرث الإنسان الحكمة، ويتصف بها، لابد له من ترويض نفسه على مورثات الحكمة، وممارستها، ومن مورثات الحكمة، القواعد الآتية:

❖ القاعدة الأولى: الزهد في الدنيا.

يقول الإمام علي (ع):

«الزهد كله بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه: لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم»[١].

ويقول (ع) أيضا:

«أزهد في الدنيا، يبصرك الله في عوراتها، ولا تغفل، فلست بمغفول عنك»[٢].

ويقول الإمام الصادق (ع):

«من زهد في الدنيا، أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»[٣].

هناك حقيقة إلهية ثابتة، وهي أن الدنيا مؤقتة، وهي ممر إلى الآخرة، ووسيلة، ومزرعة لها. إلا أن الإنسان كثيراً ما يقع في الفهم الخاطئ لهذه الحقيقة، أو تراه يتغافل عنها، فيتصرف وكأن الدنيا باقية، مستمرة، فينشغل بالملذات، والأموال، والأملاك، إلى درجة كبيرة، ويقع فريسة لحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، كما يقول الحديث الشريف: «حب الدنيا، رأس كل خطيئة»[٤].

---

١. نهج البلاغة - ص ٥٥٣

٢. المصدر السابق - ص ٥٤٥

٣. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٧

٤. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ١١١

ولـو أن الإنسـان تأمـل جيـداً في الدنيـا، لرآهـا قصـيرة، فمهـما عمّـر، فعمـره قصـير محـدود، إلى نهايـة.

يقـول الإمـام (ع): «الدنيـا دار ممـر، لا دار مقـر، والناس فيها رجـلان: رجل باع فيها نفسـه، فأوبقها، ورجل إبتاع نفسـه فأعتقها»[1].

ويقـول (ع) أيضـا: «مثـل الدنيـا كمثـل الحيـة، لين مسـها، والسـم الناقـع في جوفها، يهـوي إليهـا الغر الجاهـل، ويحذرهـا ذو اللـب العاقل»[2].

ويقـول (ع): «الزهـد في الدنيـا قـصر الأمـل، وشـكر كل نعمـة، والـورع عـن كل مـا حرم اللـه»[3].

وفي الحقيقـة أن الإمـام عـلي (ع) كان مدرسـة عظيمـة، وأنموذجـاً فريـداً فـذاً في الزهـد في الدنيـا، فضـلاً عـن أنـه مدرسـة وأنمـوذج فـذ في كل مجـال، ولذلـك كان حكيـماً. وإذا مـا قـرأت، وتأملـت حكمـة قصـيرة مـن حكمـه رأيـت الـدروس، والعـبر، والحكـم تتـوالى عليـك تـترى. فـما أحوجنـا إلى الإقتـداء بـه في الزهـد والحكمــة والأخــلاق وفي كل شيء.

يقـول أحـد علـماء البحريـن المتقدمـين (رح)، في وصيـة شـعرية لإبنـه، يزهـده فيها مـن الدنيـا، ويحـذره منها:

هي الدار، دار العناء والمحن *** ودار الغرور، ودار الحزن

ودار الكروب ودار الحروب *** ودار الخطوب ودار الفتن

ولو نلت ما نال قارونها *** لبت، وفي القلب منها شجن

فمن رام يوماً بها أن يعيش *** خلياً من الهم فهو الأجن

فلا العذب فيها خلال من أجاج *** ولا الصفو منها خلا من درن

١. نهج البلاغة – ص ٤٩٣

٢. المصدر السابق – ص ٤٨٩

٣. تحف العقول – ص ١٥٤

ولا معدم جانبته الهموم *** ولا سالمته صروف الزمن

ولا ملك نال منها مناه *** ولا ذو الغنى بغناه إطمأن

ولا الأنبياء، ولا الأوصياء *** ولا مؤمن عاش لمن يمتحن

فهون عليك الأمور الصعاب *** وثق بالإله، ولا تجزعن

فكم أعقب العسر يسر قريب *** وكم أعقب الظن ما لا يظن

***

ومـن الأمـور التـي تزهـد في الدنيـا القناعـة في المعيشـة، والبسـاطة فيهـا، وذكـر المـوت والتفكـير فيـه.

يقول الإمام الباقر (ع):

«أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا»[1].

ويقول الإمام علي (ع):

«إذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وداعي الشتات»[2].

ويقول الشاعر:

من لم يبت والبين يحرق قلبه *** لم يدر كيف تفتت الأكباد

ويقول أبو العتاهية في ذم الحرص على الدنيا:

لقد لعبت وجدّ الموت في طلبي *** وإن في الموت لي شغلاً عن اللعب

لو شمرت فكرتي فيما خلقت له *** ما اشتد حرصي على الدنيا، ولا طلبي

سبحان من ليس من شيء يعادله *** إن الحريص على الدنيا لفي تعب

١. وسائل الشيعة – ج ٢ – ص ٦٤٨

٢. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٣٧٠

إن فكـرة الزهـد نابعـة من فكـرة النظرة الموضوعيـة للحياة الدنيـا، باعتبارها مؤقتة فانيـة، وإن الـدار الآخـرة هـي الـدار الباقيـة، الخالـدة. بحيث تكـون الدنيـا مرحلة زرع وامتحـان، وعمـل للإنسـان، يكـون فيهـا لـه، رصيداً مـن العمل الصالـح، ينفعه في الآخـرة، ويقيـه شر النـار، والعذاب.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَره. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[١].

ويقول الإمام علي (ع):

«اليوم عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل»[٢].

ولا يعنـي الزهـد، أن ينعـزل الإنسـان عن ميادين الحياة، والإجتـماع، ويتصوف، لأن الإنعـزال، والتصـوف، هـروب مـن تحمل المسـؤوليات التي حمله اللـه إياها.

﴿إِنَّـا عَرَضْنَـا الأَمَانَـةَ عَـلَى السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَـيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الإِنْسَـانُ إِنَّـهُ كَانَ ظَلُومـاً جَهُـولاً﴾[٣].

والتصـوف نظرية ليسـت مـن الإسـلام في شيء، أوجدها أولئك المنعزلـون عن ميدان الحيـاة، والمسـؤولية، ودعهـما المسـتعمرون، مـن أجـل السـيطرة عـلى المسـلمين، وصرف أنظارهـم عـن قضاياهـم المصيريـة، وعن الثورة ضدهم، وفـرق بين التصوف، وبـين الزهد والتقشـف.

كذلـك لا يعنـي الزهـد، أن لا يمتلـك الإنسـان شـيئاً في هـذه الحيـاة، ويظـل فقـيراً معدمـاً، وإنمـا يمكـن لـه أن يمتلـك - ضمـن الحـدود المشروعـة - ما شـاء، بحيث أن هـذه الأمـلاك لا تملكه، وتسـيطر عليه، وتجعلـه في غفلة عن حقيقـة مؤقتية الحياة الدنيـا. كـما يقـول الإمام الصـادق (ع):

«ليس الزهد بأن لا تملك شيئا، ولكن الزهد بأن لا يملكك شيء».

١. سورة الزلزلة، الآية: ٧ - ٨

٢. ميزان الحكمة - ج ١ - ص ٣٣

٣. سورة الأحزاب، الآية: ٧٢

ويقول (ع) أيضاً:

«ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عزَّ وجلَّ»[١].

ويقول القرآن الكريم:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[٢].

وقال الإمام علي (ع) لرجل تجاوز الحد في التقشف:

«يا هذا! أما سمعت قول الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فو الله لابتذالك نعم الله بالفعال أحب إليه من إبتذالكها بالمقال»[٣].

***

وهناك قصة في التاريخ، تروى في هذا المجال.

يقال: أن شخصاً سمع عن رجل زاهد، ألف كتاباً في الزهد، فأراد الأول أن يلتقي الرجل الزاهد، فقصده حتى بلغ مكانه، والتقاه فرأى أن له قصراً فخماً، وجميلاً، فيه من الخدم، ومن الأثاث والطيبات ما يسر العين، والقلب. فاستغرب الرجل الضيف، وقال: أأنت ذلك الرجل الزاهد، مؤلف كتاب الزهد، ولك هذا القصر العظيم؟!

فقال الرجل: بلى.

ولكي أثبت لك ذلك دعنا نخرج معاً إلى الصحراء. فخرجا حتى قطعا مسافة طويلة، وبينما هما كذلك إذ تذكر الرجل الضيف مسبحته التي نساها في القصر، وقال لصاحبه: إني نسيت مسبحتي في قصرك، ولا بد لي من الرجوع إليها. فقال صاحب القصر: إنني لم أفكر في ذلك القصر الشامخ الذي تركته، ولا في زوجتي، وعيالي، ولكنك تفكر في مسبحة زهيدة، فأين الزاهد، أنت أم أنا؟!

والآن إذا أردت أن ترث الحكمة، كن زاهداً في حياتك.

---

١. وسائل الشيعة – ج ١١ – ص ٣١٥

٢. سورة القصص، الآية: ٧٧

٣. تحف العقول – ص ١٥٥

❖ القاعدة الثانية: غلبة الشهوة

قال تعالى:

﴿زُيِّـنَ لِلنَّـاسِ حُبُّ الشَّـهَوَاتِ مِـنْ النِّسَـاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِـيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِـنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّـةِ وَالْخَيْـلِ الْمُسَـوَّمَةِ وَالأَنْعَـامِ وَالْحَـرْثِ ذَلِـكَ مَتَاعُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَاللَّـهُ عِنْدَهُ حُسْـنُ الْمَآبِ﴾[1].

ويقول الإمام علي (ع)

«إغلب الشهوة، تكمل لك الحكمة»[2].

مـن طبيعـة الإنسـان، وسـليقته أنـه ميـال إلى الغرائـز المفطـور عليهـا، والتـي هـي جـزء مـن تكوينه. وهنـاك مجموعة من الشـهوات التي تتنازعه، منها: شـهوة الأكل، والـشرب، وشـهوة الجنـس، وشـهوة حـب النسـاء، والأولاد وشـهوة التملك، وشـهوة حـب السـلطة، والجاه.

وإذا لم تكـن كل هـذه الشـهوات، بميـزان في الإنسـان عـن طريق سـيطرته عليها، أي إذا لم تكـن القـوة العاقلـة هـي المهيمنـة، والموجهـة لهـذه الشـهوات، فـإن الإنسـان يتحـول إلى مـا يشـبه الحيوان في الغابة، أو السـفينة التـي تتقاذفها الأمـواج العاتية، في بحـر لجـيّ، وحينهـا يبتعد الإنسـان إبتعاداً فادحاً عن شـواطئ ومرافـئ الحكمة، والأخـلاق الفاضلة.

ولنـضرب مثـلًا بشـهوة الجنـس. وهـي من الشـهوات القوية جـداً في الإنسـان، الأمر الـذي دعـي الدكتـور الألمـاني، «سـيجمند فرويـد» إلى القـول بـأن جميـع تصرفـات البـشر، تصـدر مـن قاعدتـين هـما: الغريـزة الجنسـية، والرغبـة في العظمة.

وبالطبـع فـإن نظريـة فرويـد غـير صحيحـة، إلا أنهـا تعـبر عـن قـوة شـهوة الجنس، وقوتهـا هـي التـي دعـت فرويد إلى تفسـير كثير من التصرفـات، والظواهـر على أنها مـن منشـأ جنسي.

١. سورة آل عمران، الآية: ١٤

٢. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٧

ولا غرابـة أن نجـد الـشرق والغـرب يسـتخدم شـهوة الجنـس وتأثيراتهـا، كوسـيلة فعالـة لحـرف المسـلمين، - وخصوصاً الشـباب من الجنسـين – عـن ثقافتهم الأصيلة، وإحـلال الثقافـة الشرقيـة أو الغربيـة مكانها.

نعود فنقول:

أن الإنسـان إذا لم يسـيطر عـلى هذه الشـهوة الجبـارة، ويضعها في إطارهـا الصحيح، إمـا بالصبر، والصـوم، أو الـزواج إذا كان قـادراً، فإنهـا قـد تصل به إلى أسـفل مراتب الإنحـدار، فتنسـيه ربـه، وتجعلـه يفعـل كل شيء كالحيـوان، ويسـقط في وحـل المحرمـات مثـل الزنـا وغـيره، في سـبيل إشـباع نهمـه الجنسي.

ومثـال آخـر، شـهوة حب السـلطة. والملاحـظ أن النـاس متفاوتون في هـذه الغريزة، فمنهم من لا يفكر في السـلطة ولا تسـمها غلا قليلا، ومنهم من لا يشـعر بالإستقرار، والإرتـواء النفـسي إلا إذا أصبح متسـلطاً، صغرت هذه السـلطة أم كبرت.

وإذا أطلـق الإنسـان العنان لشـهوة حب السـلطة فيه، فإنه قد يتحـول إلى طاغوت، لا يفكـر إلا في التسـلط، وممارسـة السـلطة عـلى النـاس في كل شيء، وفي كل مجـال يخوضـه، وبالتـالي يصبـح إنسـاناً صعـب الإنقياد، ويريـد من النـاس أن يكونوا تحت سـلطته، وقيادته.

والإنسـان إذا تشـبث بحـب السـلطة، فإنـه قـد يصـاب بمـرض جنـون العظمـة، فيتشـبث بهـا، مهـما تعـرض لرفض، أو مقاومـة، لأن الملك، عقيم كما يقـال. وهذا ما نلاحظـه بالنسـبة للأمـراء، والملـوك، والحكام، سـواء في العـصر القديـم، أو الحديث، أنهـم يتوصلـون إلى قناعـة بأنهـم عـلى خطـأ، وأن النـاس عـلى حـق، ولكنهـم – في سـبيل المحافظـة عـلى سـلطتهم – يفعلـون كل مـا مـن شـأنه أن يحفـظ لهـم هـذه السـلطة، من سـجن، وتعذيب، وتقتيل وتسـفير، وما شـابه ذلك من أسـاليب القهر، والبطـش، والتنكيل.

دعنا نضرب لذلك بعض الأمثلة من الواقع:

شـاه إيـران البائـد. لقـد تسـلط عـلى الحكـم في إيـران عـام ١٩٤٢ آثـر مؤامـرة بريطانيـة أزاحـت والـده رضـا شـاه، وأحلّتـه مكانـه وفي عـام ١٩٥٤ أجـبر عـلى

الخـروج مـن إيـران، عـلى أثـر نقمـة شـعبية قادهـا آيـة اللـه الكاشـاني، والدكتـور محمـد مصـدق.

ولكـن حـب التشـبث بالسـلطة، مـن جهـة، وعمالتـه للبريطانيـين والأمريكيـين، من جهـة أخـرى، جعلـه يـصر عـلى الرجـوع إلى إيـران، ويواصـل سـيطرته عـلى الحكم، بعـد أن أطاحـت المخابـرات الأمريكيـة بمصـدّق وبالفعـل أرجعـه الأمريكيـون بالتعـاون والتنسـيق مـع البريطانيـين.

وفي العـام ١٩٧٨، حينـما اشـتعلت شرارة الثـورة الإسـلامية في إيـران، حـاول الشـاه إخمادهـا بـكل مـا يمتلـك من طـرق، وأسـاليب، مـن الإعتماد عـلى جهـاز المخابرات «السـافاك» في مراقبـة تحـرك النـاس، ومطاردتهـم، إلى الاعتقـال، والتعذيـب بأبشـع صـوره في السـجون الرهيبـة، إلى إقحـام الجيـش في مواجهـة التظاهـرات الضخمـة، وإطـلاق الرصـاص عـلى المتظاهريـن، إلى التغيـير المسـتمر في تشـكيلة الحكومـة، وخاصـة فيـما يرتبـط بالأمـن الداخـلي، حيـث أعلـن الشـاه حالـة الطـوارئ بإعـلان حكومـة عسـكرية، إلى الإسـتعانة بأمريـكا، والإيغـال في العمالـة لهـا، وكل ذلـك من أجـل المحافظـة والبقـاء عـلى (عـرش الطـاووس)، الـذي تهـدم، ومـن أجل التسـلط، والهيمنـة عـلى الشـعب الإيراني المسـلم، ومقدراتـه، وليتمتع بلقب شرطـي المنطقة، كـما كان يحلـو له.

ومثـال آخـر مـن نيكاراغـوا، أحـد دول أمريـكا الوسـطى، حيـث تزامـن قيـام ثـورة شـعبية برئاسـة الجبهـة السـندنية، مـع انتصـار الثـورة الإسـلامية في إيـران.

لقـد كان الحاكـم عـلى نيكاراغـوا آنـذاك، الديكتاتـور «انسـتتيو سـوموزا»، الـذي لم يدخـر جهـداً في إبقـاء نفسـه عـلى رأس السـلطة في تلك البـلاد، لقد أعلـن الحكومة العسـكرية وحالـة الطـوارئ، والأحـكام العرفيـة، وأقـام المذابـح الرهيبـة، الفرديـة، والجماعيـة في الشـعب النيكاراغـوي، وسـجن، وعـذب، وأعدم، وأهـدر دماء الآلاف، وكل ذلـك مـن أجـل الإحتفـاظ لنفسـه بكرسي السـلطة.

وبالنتيجـة كان مصـير كل مـن الشـاه، وسـوموزا، لا يحسـدان عليـه، وإلى مزبلـة التاريـخ، حيـث لم يتمتـع الأول حتـى باللجـوء السـياسي في أرض سـيدته، الولايـات

المتحـدة الأمريكيـة، التـي كان طـوال فـترة عمالتـه لهـا، يركـع لها ويسـجد. ولم يكن سـوموزا أوفـر حظـاً مـن الشـاه، حيث مـات معـزولًا في إحـدى الولايـات الأمريكية.

ومثـال ثالـث، «الحبيـب بورقيبـة» الرئيـس التونسي السـابق، الذي عـاصر عهد أكثر مـن سـبعة رؤسـاء أميركيـين، مـن الحـزب حـزب الجمهـوري، والحـزب الديمقراطي، واسـتمر عـلى رأس السـلطة، والتشـبث بهـا حتـى تنفيذ الإنقـلاب «الأبيـض» عليه.

ومثـال رابـع، «فردينانـد ماركوس» الرئيس الفلبيني السـابق، الذي قتل من الشـعب الفلبينـي – وخاصـة مـن المسـلمين – ما قتل، لكي يبقى على رأس السـلطة.

ومـا أكـثر الأمثلـة – في عالمنـا اليـوم – عـلى سـيطرة حـب السـلطة، أو شـهوتها على الإنسان!

يقول الإمام علي (ع) في منهجه لمفهوم السلطة السياسية، والهدف منها:

«اللهـم! إنـك تعلـم أنـه لم يكن الـذي كان منا منافسـة في سـلطان، ولا إلتماس شيء مـن فضـول الحطـام، ولكـن لنرد المعـالم من دينـك، ونظهر الإصلاح في بـلادك، فيأمن المظلومـون مـن عبادك، وتقـام المعطلة من حـدودك»[1].

ويقول الإمام الحسين (ع):

«إني لم أخـرج أشراً، ولا بطـراً، ولا مفسـداً، ولا ظالمـاً وإنمـا خرجـت لطلـب الإصـلاح في أمتـي جـدي رسـول اللـه (ص)، أُريـد أن آمـر بالمعـروف، وأنهى عـن المنكر، فمن قبلنـي بقبـول الحـق فاللـه أولى بالحـق، ومـن رد عـلى هـذا أصبر حتى يحكـم الله بينـي وبـين القـوم بالحق، وهـو خير الحاكمـين»[2].

فالسـلطة في نظـر أهـل البيـت عليهـم السـلام، ليسـت كـما هـي في نظر الحـكام في عالمنـا اليـوم، هدفـاً للهيمنـة عـلى النـاس، ومقدراتهـم، والإلتـذاذ بمتـاع الدنيـا، إنها في نظرهـم (ع) وسـيلة لـرد معـالم الديـن، وتطبيـق قيمـه ومبادئه، وإقامـة الحدود المعطلة.

١. نهج البلاغة – ص ١٨٩

٢. ثورة الحسين – محمد مهدي شمس الدين – ص ١٧٨

وشهوة السلطة لا تقتصر فقط على الحكم، بل حب التسلط في أي مجال مهما كان صغيراً. وهذا الحب قد يؤدي بالإنسان إلى أن تغلبه هذه السلطة بدل أن يغلبها، وبالتالي يصبح عبداً للسلطة بعيدا عن الحِكمة. وهكذا الحال بالنسبة لجميع الشهوات الأُخرى، إذا أطلق الإنسان لها العنان أبعدته عن الحكمة، بل وقتلته لأن الشهوات آفات قاتلات.

فلكي ترث الحكمة، إعمل على أن تناضل، وتغلب شهوتك. وتذكر دائماً مقولة أمير المؤمنين (ع): «لا تجتمع الشهوة والحكمة»[1].

❖ القاعدة الثالثة: مقاومة الشيطان.

إن كثيراً من الإنحرافات التي يقع فيها الإنسان - إن لم يكن كلها - ترجع إلى سيطرة القوة الشيطانية على عقل الإنسان، ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة أن إبليس الذي هو الشيطان، كان السبب في إخراج آدم وحواء من الجنة، وذلك بأن زين لهما الأكل من تلك الشجرة.

فالشيطان يزين للإنسان عمله ويجعله يعجب به، ويوسوس له في بعض الأحيان، ويشككه، ويغري العداوة بينه، وبين الآخرين، فينشب الصراع - الذي تتفاوت شدته من شخص لآخر - بين قوة الشيطان، وقوة العقل، فإذا انتصرت قوة العقل، كان الإنسان في طريق الحكمة، وإذا انتصرت قوة الشيطان، كان الإنسان في طريق الانحراف.

والشيطان لا يدخل للإنسان من خلال وسائل الإنحراف، والأعمال الرذيلة، كشرب الخمر، والزنى، وما شابه ذلك فحسب، بل قد يدخل إليه - أيضا - من خلال الأعمال الحسنة، والقضايا الإيجابية التي يمارسها. فعلى سبيل المثال قد يدخل الشيطان إلى قلب الإنسان من خلال علمه، ومكانته العلمية، فيأتي إليه، ويهمس في أذنه قائلًا: أيها الإنسان! أنت عالم، ولك مكانة علمية مرموقة، فليس من

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٨

المعقول أن تتواضع للناس، بل هم الذين يتواضعون إليك، وليس من المعقول أن تخدمهم، بل هم الذين يخدمونك، وكل ما عليك، أن تطلق الأوامر لهم بذلك، وأنت جالس في مكانك.

وقد يأتي إليه من خلال عمله الجهادي والنضالي فيقول له: أي فلان! أنت مجاهد، ولك مسيرة نضالية حافلة، فيجب أن لا يعاملك الناس بشكل عادي. وإذا خرجت إلى المجتمع، والتقيت أناساً، فلا تبدأ بالسلام عليهم، بل دعهم هم الذين يسلمون عليك، وإذا سلموا عليك، فارفع رأسك عليهم، وكلمهم بأسلوب فوقي، من وراء أنفك، مع إظهار نفسك بأنك ذو المستوى الأعلى، وأن الآخرين ضعيفو المستوى أمامك!

وفي كلا المثالين، إذا استسلم الإنسان لتزيين الشيطان، فإنه يصاب العجب، والكبر، فيتكبر على الناس، ويعاملهم معاملة العبيد، أو قد يستصغرهم ويحقرهم، أو قد يفصل الإنسان بين علمه، وعمله - كما في المثال الأول - فيصبح في النهاية عالماً منحرفاً. والأمثلة على تزيين الشيطان للإنسان، أعماله كثيرة، ومتعددة.

وقصة بلعم بن عوراء من الأمثلة القرآنية، التي تبين دور الشيطان في حرف الإنسان عن مساره الصحيح، وطريقه المستقيم. لقد أوتي الإسم الأعظم تكريماً له من الله - عزّ وجلَّ - ولكنه أعجب بنفسه، وطغى، وتجبر، وتكبر، وفصل علمه عن عمله، فأصبح من المنحرفين، والضالين، المغضوب عليهم.

وبكلمة: إن الشيطان ألد الأعداء بالنسبة للإنسان، هدفه تخريب النفس الإنسانية. والعدو لا يعرف إلا لغة العداء، والهجوم، والدخول من الثغرات، وطالما أن الشيطان هو العدو اللدود بالنسبة للإنسان، فلا نتوقع يوماً أن يكون الشيطان صالحاً، مرضياً عند الله، ويعمل من أجل مصلحتنا.

يقول الإمام علي (ع):

«صافوا الشيطان بالمجاهدة، واغلبوه بالمخالفة تزكوا أنفسكم، وتعلوا»[1].

فلكي ترث الحكمة لابد لك أن تقاوم الشيطان وخدعه، وأحابيله.

١. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ١٧٥

❖ القاعدة الرابعة: العصمة

يقول أمير المؤمنين (ع): «لا حكمة، إلا بعصمة»[١].

العصمـة مـن الفعـل عصم، أي منع. وعصـم الشيء عصماً، أي منعـه منعاً. فالعصمة هـي المنـع، وملكـة اجتنـاب المعـاصي، والأخطـاء وعصـم الله فلانـا من المكـروه، أي حفظه اللـه، ووقاه.

ولقـد بينـا مسـبقاً أن الأنبيـاء، والرسـل، والمعصومـين مـن أهـل البيـت (ع)، هـم المتفـردون بالعصمـة مـن الزلـل والخطـأ.

وذلك لحكمة - منه - تعالى.

قال الله - عز وجل - في حديث قدسي:

«كلكـم يسـألني العصمـة، فـإذا عصمتكـم جميعـاً مـن الذنـوب، لمن يشـمل عفوي وتعم رحمتـي» [٢].

فيتبقـى للإنسـان أن يقتفي شـخصيات هـؤلاء العظماء، لكي يصل إلى مسـتوى معين مـن ملكـة إجتنـاب المعـاصي، والأخطـاء، لأن الإرادة الإنسـانية أمـر واقـع، ومتـى كانـت هـذه الإرادة موجـودة فإنـه يمكـن للإنسـان أن يصـل إلى حـد معـين مـن إجتنـاب المعـاصي والأخطـاء، إذا عمـل عـلى تقويـة هـذه الإرادة، وروضهـا، وقواها.

يقول إمام المتقين، علي ابن أبي طالب (ع):

«... وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»[٣].

ويقول في مورد آخر من نهج البلاغة:

«... إلا أنكم لن تقدروا على ذلك، ولكن أعينوني بورع، واجتهاد، وعفة، وسداد»[٤].

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٧
٢. كلمة الله - ص ١٣٥
٣. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٩٥٢
٤. المصدر السابق - ص ٩٥١

مـن هنـا فالمطلـوب مـن الإنسـان أن يخضع نفسـه لبرنامـج تربوي، ترويـضي، يقوي فيـه إرادتـه أمـام المعـاصي، والأخطاء، والرذائل، لكي يوصل نفسـه إلى مسـتوى معين مـن الحكمـة، لا يرقـى - بـأي شـكل من الأشـكال - إلى عصمة الأنبيـاء، والأئمة (ع).

يقول تعالى في حديث قدسي:

«عبـدي! أطعنـي أجعلـك مثـلي، أنا حـي لا أموت، أجعلـك حيا لا تمـوت، أنا غني لا أفتقـر، أجعلـك غنيـا لا تفتقـر، أنا مهما أشـاء يكـون، أجعلك مهما تشـاء يكون»[1].

«يـا بـن آدم! إن نازعـك بـصرك إلى بعـض مـا حرمـت عليـك، فقـد أعنتـك عليـه بطبقـين، فأطبـق، ولا تنظـر. وإن نازعـك لسـانك إلى بعـض مـا حرمـت عليـك، فقـد أعنتـك عليـه بطبقـين، فأطبـق، ولا تتكلـم، وإن نازعـك فرجـك إلى بعـض ما حرمت عليـك، فقـد أعنتـك عليـه بطبقـين، فأطبـق، ولا تـأتي حرامـاً» [2].

فلكي تكون حكيماً، إستخدم إرادتك، في الإجتناب عن الأخطاء، والمعاصي.

❖ القاعدة الخامسة: الحلم

يقـول تعـالى: ﴿الَّذِيـنَ يُنْفِقُـونَ فِي الـسَّرَّاءِ وَالـضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِـينَ الْغَيْـظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّـاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ﴾[3].

ويقول الإمام علي (ع):

«إن لم تكن حليماً، فتحلم، فإنه قل من تشبه بقوم، إلا أوشك أن يكون منهم»[4].

ويقول الإمام الصادق (ع):

«الغضب ممحقة لقلب الحكيم، ومن لم يملك غضبه، لم يملك عقله»[5].

---

١. كلمة الله - ص ١٤٠
٢. المصدر السابق - ص ٣٥٥
٣. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤
٤. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٥١٣
٥. المصدر السابق - ص ٤٩٨

وتقول الحكمة الشهيرة:

«الحلم سيد الأخلاق».

الحلـم مـن الصفـات الأوليـة في الإنسـان الحكيـم. ومـن صفـات الإنسـان الحليـم، الرزانـة في الشـخصية، والقـدرة عـلى التحكـم في أفعالـه، وردود فعلـه، وانفعالاتـه النفسـية.

عـلى عكس ذلك الإنسـان الغضـب، الطائش، الذي تكون ردود فعلـه كالنار المحرقة، حتى لأبسـط الأسباب.

إن القـوة الغضبيـة مـن القـوى الموجـودة في الإنسـان، وهـي القـوة التـي تعطيـه القـدرة عـلى الرفـض، والشـجب، والإسـتنكار. إلا أنه يلـزم للإنسـان أن يضبطها، لأنه إذا طغـت عـلى عقلـه، جعلته كالبارود المشـتغل، وأوردته في المشـاكل، فضلا عن أن الغضـب غـير الطبيعـي، ينهك الجسـم، ويهدمـه، ويضعـف الجهاز العصبـي، ويؤثر عـلى القلـب، والشرايـين، والأوردة، والشـعيرات الدمويـة، لأنـه يزيد مـن ضغط الدم فيهـا، وإذا غضـب الإنسـان، توتـرت، واسـتُنفِرت، كل خليـة من خلايا جسـمه.

وليـس مـن العجيـب أن ترى إنسـاناً في حالة غضـب، والدم يتدفق في وجهه مكسـباً لـه حمـرة محسوسـة، وارتجافـاً في أعضـاء الجسـم. فضـلا عـن أن النـاس ترتـاح إلى ذلـك الحليـم الرزيـن الهـادئ، الـذي تفوح منـه رائحـة الحلم، وضبـط النفس.

إن الحلم سـيد الأخلاق، إذ عن طريقه يمكن للإنسـان أن يضبط كثيراً من أخلاقياته، وطبائعـه، وتقاليـده، وسـجاياه، بـل يمكن للإنسـان - عـن طريق الحلـم - أن يخلق الأرضيـة الصالحة لنفسـه، في جعلها تتصف بسـائر المناقـب، والفضائل الأخرى.

قد يقول قائل:

إنني إنسان غضب، فكيف أزرع في نفسي صفة الحلم؟

والجواب:

أن تتحلـم في البدايـة، أي تتصنـع الحلـم، وتحـاول قـسر نفسـك عليـه، وأن تروضها، وتدربهـا عـلى كظـم الغيـظ والغضـب، والتحكم فيه. وقـد تجد صعوبـة في ذلك، إلا

إنـك إذا كـررت – متحلـماً – عمليـة التحكـم لمـرات عديـدة، فـإن الحلم سـيصبح – شـيئاً فشـيئا – عـادة في نفسـك، وتقليـداً. لأنـه وكـما يقـول الرسـول الأعظـم (ص): «الخير عـادة»[1].

ومـا مـن شـك أن النظـر إلى سـيرة الحلـماء، والحكـماء، واقتفـاء آثارهـم، لـه دور لا ينكـر فيجعـل النفـس تتصف بالحلـم، والحكمة، إذ لا غنى للإنسـان. في هذه الحياة عـن الرمـز، والقدوة.

***

ومـن القصـص التـي تذكـر في باب الحلـم، والرزانـة، ورجاحـة العقـل، والمنقولة من حيـاة الإمـام عـلي بن الحسـين، السـجاد (ع)، مـا يلي: -

كان عنـد الإمـام ضيـوف، فاسـتعجل خادمـاً لـه بشـواء كان في التنور. فأقبـل الخادم مسرعـاً، فسـقط السـفود (حديـدة يشـوى بهـا) عـلى رأس ولـد، كان لعـلي ابـن الحسـين (ع)، تحـت الدرجـة، فأصـاب رأسـه، فقتله. فقـال الإمام للغـلام، وقد تحير، وإضطـرب: أنـت حـر لوجـه اللـه، فأنـك لم تتعمده، وأخـذ في جهـاز ابنـه، ودفنه[2].

وجعلـت جاريـة تسـكب عليـه الماء، ليتهيـأ للصلاة فسـقط الإبريق مـن يدها عليه، فشـجه فرفع رأسـه إليهـا، فقالت له:

والكاظمين الغيظ.

قال: قد كظمت غيظي.

قالت: والعافين عن الناس.

قال: عفا الله عنك.

قالت: والله يحب المحسنين.

قال: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله[3].

١. ميزان الحكمة – ج ٧ – ص ١٢٣

٢. المجالس السنية

٣. المصدر السابق

ولما أتي بـه، وبإخوانـه، وعماته، ومن تخلف من أهل بيته، أسـارى إلى يزيد بالشـام، وأتي بهـم بـاب دمشـق، فأوقفوا على درج باب المسـجد الجامع، حيث يقام السـبي. فجاء شـيخ فدنا من نسـاء الحسـين (ع)، وعياله، وقال:

الحمـد للـه الـذي أهلككـم، وقتلكم، وأراح البـلاد من رجالكم، وأمكـن أمير المؤمنين منكـم. فلـم يقابلـه عـلي بن الحسـين (ع) بمثـل كلامه، حلماً منـه، ورزانـة عقل، بل قـال له:

يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال: فهل عرفت هذه الآية ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟

قال: قد قرأت ذلك؟

فقـال لـه علي: فنحـن القربى، يا شـيخ! فهل قرأت هذه الآيـة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِـنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَـهُ وَلِلرَّسُـولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟

قال: نعم.

فقال له: فنحن القربى، يا شيخ!

ولكـن هـل قـرأت ﴿إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُـمْ الرِّجْـسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

قال: قد قرأت ذلك.

فقال: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة، يا شيخ!

فبقـي الشـيخ سـاكتاً، نادمـاً على ما تكلـم به، وقال: باللـه إنكم. هم. فقـال علي بن الحسـين (ع): تاللـه! إنا لنحن هم.

فبـكى الشـيخ، ورمـى عمامتـه، ثم رفع رأسـه إلى السـماء، وقـال: اللهم إني أبـرأ إليك مـن عـدو آل محمـد، من جـن، وانس.

فقال له الإمام: نعم، إن تبت، تاب الله عليك، وأنت معنا.

فقال: أنا تائب.

فبلغ يزيد حديثه، فأمر به فقتل[1].

أترجو الخير من دنيا أهانت *** حسين السبط، واختارت يزيدا؟!

***

وهكذا يكون الإنسان الحليم، عقله مسيطر على انفعالاته، وغضبه.

فإذا أردت أن تكون ناجحاً، سعيداً في حياتك، هادئاً في تصرفاتك، وممارساتك، سوياً في صحتك النفسية، والجسمية، محفوفاً، محبوباً بين أصدقائك، وزملائك، ومعارفك، ومن تلقاه، إذا كان كذلك، فعليك بسيد الأخلاق، ألا وهو: «الحلم».

❖ القاعدة السادسة: الصمت

دخل لقمان على داود، وهو يسرد الدرع، فأراد أن يسأله، فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها، وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة، وقليل فاعله، فقال له داود: بحق ما سميت حكيماً[2].

ويقول أمير المؤمنين (ع): «إن الصمت باب من أبواب الحكمة»[3].

ويقول (ع) أيضا:

«لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل»[4].

ويقول (ع) أيضا: «بكثرة الصمت تكون الهيبة»[5].

---

١. المصدر السابق

٢. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩٥

٣. المصدر السابق – ج ٥ – ص ٤٣٥

٤. نهج البلاغة – ص ٥٠٢

٥. نهج البلاغة – ص ٥٠٨

ويقول (ع):

«إذا تم العقل نقص الكلام»[1].

الصمت على ثلاثة أنواع:

- صمت التفكر، والحكمة.
- صمت السكون عن الأمر بالمعرف، والنهي عن المنكر، وعن الحكم.
- صمت يكشف عن خلل نفسي، كالخجل الزائد.

والنوع الأول من الصمت هو المطلوب، بينما النوع الثاني، والثالث، مرفوضان في الإسلام. لأن الأول يهدف إلى الحكمة، والحق، والثاني سكوت عن الحق، والثالث مرض نفسي لابد من علاجه.

إن صمت التفكر، والحكمة، هو تحكم في الإرادة الناطقة، وهي اللسان، عن طريق قوة العقل. إذ أن ليس كل ظرف، ووقت، هو مجال المقول بالجهل، كما أنه ليس كل ظرف، ووقت، هو مجال للصمت، والسكوت، ولكل شيء معيار وميزان، إذ لا إفراط، ولا تفريط.

وصمت الحكمة، هو صمت التفكير، واستخدام العقل في قضايا نافعة، وليس أي صمت، وأي تفكير. وهو الإعداد لما يُراد قوله، أو فعله، أو تقريره، في سبيل الحق، لا في سبيل الباطل. وهو صمت الإجتناب عن الأقوال التي تزيد الإنسان سيئات وتبعات.

يقول الرسول الأعظم (ص):

«إذا رأيتم المؤمن صامتاً، فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة»[2].

إن صمت الحكمة، يتطلب من الإنسان أن يتكلم في موقع الكلام، وأن يسكت في

---

١. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٣٢

٢. ميزان الحكمة - ج ٥ - ص ٤٣٦

موقع السكوت، لا أن يكون ثرثاراً، يتدفق الكلام من على لسانه، كما يتدفق الماء من أنابيب المضخات، فما وراء الثرثرة إلا الوقوع في الأخطاء، والمزالق، وضعف الشخصية. وكما يقول الإمام علي (ع): -

«من كثر كلامه، زلّ»[1].

ويقول (ع)

«إذا قل الخطاب كثر الصواب»[2].

ويقول (ع):

إن القليل من الكلام بأهله *** حسن وإن كثيره ممقوت

ما زال ذو صمت، وما من مُكثِرٍ *** إلا يزلُّ، وما يعاب صموت

إن كان ينطق ناطقاً من فضة *** فالصمت در زانه ياقوت

وعن الصمت الإيجابي، تقول الحكمة الشهيرة:

إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب.

أما النوع الثاني من الصمت، فهو خطير جداً، إذ عن طريقه يزداد المسيء إساءة، ويتمادى في إساءته، ويزداد الظلم ظلماً، ويتمادى في ظلمه.

ومما يؤسَف له بشدة، كثرة الصمت - في عصرنا الحاضر - عن تقديم المعروف، ورد المنكر، إننا نرى المنكر بأم أعيننا، فلا نتحرك لرده، في الوقت الذي يكون فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرعين من فروع الإسلام العشرة، وتكتفي - فقط - بالإنكار القلبي، وذلك أضعف الإيمان، وربما لا ننكر شيئاً بقلوبنا!

بينما المطلوب، والواجب على الإنسان أن يدرب نفسه على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، حسب الحالة، وحسب قدرة الإنسان الآمر والناهي، وحسب إحتمال التأثير.

---

١. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٣٦

٢. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٣٢

إن المسلمين في صدر الإسلام، وفي العصور المتقدمة الأخرى، كانوا يطبقون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بشكل جيد، ولكننا - في هذا العصر - قلما نحرك ساكناً - في هذا المجال - فهل أصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً؟ وهل انقلبت المعادلة، أم أن الحسن يبقي حسناً، والقبيح يبقى قبيحاً؟!

إن الخير هو الخير، وسيبقى هو الخير، والشر هو الشر، وسيبقى كذلك، والمعروف هو المعروف، وسيبقى هو المعروف، والمنكر، هو المنكر، وسيبقى كذلك، مهما تغيرت الظروف، ومهما تطاولت السنون، والأزمان.

إننا في بعض الأحيان نتجنب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أجل أن لا نخسر أصدقائنا، ومعارفنا. فعلى سبيل المثال: نرى أصدقاءنا يغتابون الآخرين، أو ينمون عليهم، فنسكت، ولا نقول لهم شيئاً، وقد نرى فيهم أموراً لا ترضي الخالق، فنسكت أيضاً، ولا نوجههم لما يحبه الله، ويرضى، وبعملنا هذا، نرضي المخلوق، ونغضب الخالق، بينما القاعدة الإسلامية تقول:

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

و«امحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أم قبيحة»[٢].

والأدهى والأمر أننا في بعض الأحيان نلزم الصمت عن الحكام الطغاة، والظالمين، والفاجرين والفاسقين، والمنافقين، من أجل أن نعيش، ونحافظ على مصالحنا الذاتية، وما كسبته أيدينا من حطام الدنيا ومتاعها، أو أننا نخاف من الحكام الطغاة، ومن أجهزتهم الإرهابية القمعية. لكننا لو فكرنا ملياً، وبروية وعقلانية، لتبين لنا أن الصمت على الظلم من أعظم العار على الإنسان!

أليس عار على كل ذي لب، أن يرى الحاكم الظالم، يمارس الظلم، والطغيان، والعسف، والإضطهاد، والفساد، وانتهاك الأعراض والحرمات، وتضييع حقوق الناس، وهضمها، ويراه يزيف حقائق الإسلام ويتصرف في البلاد، ومقدراتها، ويجعلها رهناً بيد الأجانب، والمستعمرين، أليس عار عليه أن يرى كل ذلك، ويسكت؟!

١. مكارم الأخلاق - ص ٤٢٠ من رسالة الحقوق للإمام على بن الحسين (ع)

٢. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٨١

يقول الرسول الأعظم (ص):

«الساكت عن الحق، شيطان أخرس».

ويقول (ص) أيضا:

«إن أفضل الجهاد، كلمة حق عند سلطان جائر»[1].

وفي الحقيقة إن سبب صمت بعض الشعوب عن مقاومة الظلم والطغيان في بلادها، هو الخوف من قوة الأنظمة، ومن إرهاب أجهزتها القمعية. علاوة على ذلك تولد شعور عند الناس، بأن هذه الأجهزة قوية، ولا يمكن قهرها، وهي ترصد وتلاحق تحركات أي إنسان، أينما كان. بالإضافة إلى شيوع روح عدم الثقة بين الناس في بعضهم البعض، بسبب تضخيمهم لقوة أجهزة المخابرات من جهة، وبسبب تهويل الأنظمة بقوتها، وخصوصاً في الجوانب الأمنية، والإستخباراتية، فضلاً عن الممارسات الإرهابية الفعلية التي تقوم بها هذه الأجهزة، في داخل السجون، والمعتقلات، من جهة أخرى.

ولو أن الناس تعي الأمر جيداً، لما بالغت في الخوف من أجهزة الأنظمة القمعية، فهذه الأنظمة - مهما أوتيت من القوة - هي بمثابة النمور الورقية، التي تبدو عليها ملامح، ومظاهر القوة، إلا أنها من ورق، أو هي كبيوتات العنكبوت يراها المرء ممتدة، ومتشعبة، إلا أنها واهية، وضعيفة جداً، ومع أقل ضربة تتدمر.

ولقد أثبتت تجارب التاريخ وعِبره، أن أقوي إمبراطورية ظالمة، لا يمكن لها أن تصمد في مقابل تيار الثورة الشعبي الجارف، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، من العصر القديم والحديث. فأين إمبراطورية فرعون؟ وأين إمبراطورية شاه إيران، وسوموزا، ومن شاكلهم؟

إن الخوف يجب أن يكون من الله فقط، وليس من المخلوق، مهما كان قوياً، ومسلحاً. وبنظرة واقعية، وموضوعية، يمكن القول: أن إرهاب الطغاة قد يولد نوعاً من الخوف عند الناس، بِاعتبار أن الخوف غريزة فطرية في الإنسان،

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٧٠

يستخدمها في الحذر، الدفاع عن نفسه، وإبعاد المخاطر عنها. ولكن المطلوب من الشعوب عدم تفخيم هذا الخوف، وتضخيمه، والمبالغة فيه، والتقوقع في زواياه. لأن تضخيم الخوف، والمبالغة فيه، يؤخر الشعب، وثورته على الظلم مدة من الزمن، من جهة، ويتيح للحاكم الظالم فرصاً ذهبية لتضييق الخناق عليه، وكبته، وتقييده، ويعطيه قوة، من جهة أخرى. والمعادلة الإسلامية تقول: «كيفما تكونوا، يولّي عليكم».

فالشعب الذي يرضى بالذل والهوان، ويلزم الصمت عن الظلم، ويتيح للحاكم الظالم فرصاً لممارسة الظلم، والطغيان عليه، إن هذا الشعب لن يذوق إلا مزيداً من العذاب، والظلم، والهوان، من قبل الحاكم الظالم. أما الشعب الذي يوجه يداً من حديد للحاكم الظالم، فهو الشعب القوي، المنتصر، الذي يحسب له الحاكم ألف حساب، ويرضخ لمطالبه، إن لم يسقط هذا الحاكم، ويتحرر الشعب من قيوده، وأغلاله، عاجلاً أو أجلاً.

وكما يقول أمير المؤمنين (ع):

«لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمن»[1].

ولكن أي صبور هو المقصود؟

إنه الصبور، الذي لا يصمت، ولا يسكت عن الظلم، ويصبر في هذا المجال إلى أن تحين ساعة الفرج.

ومن الأبيات الشعرية التي تُنسب لأمير المؤمنين (ع) في الصبر ما يلي:

إصبر من تعب الإدلاج والسهر *** وبالرواح على الحاجات والكبر
لا تضجرن ولا يجرك مطلبها *** فالنجح يتلف بين العجز والضجر
إني وجدت وفي الأيام تجربة *** للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه *** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر[2]

١. نهج البلاغة – ص ٤٩٩

٢. الديوان المنسوب للإمام على ع..

أما النوع الثالث من الصمت، فهو ينتج إما من:

- أسباب وراثية.
- أو تربوية.
- أو بيئية.

فالشخص الذي يولد من أب، وأم خجولين، أو أحدهما، فإنه قد تنتقل إليه عوامل الخجل الوراثية، ويكون خجولًا، والشخص الذي يهان، ويحقر – تربوياً – فإن عقدة الحقارة قد تنشأ فيه، مسببة له خجلاً زائداً، يدعوه إلى الركون والصمت السلبي. والشخص الذي يعيش في محيط أو بيئة مشحونة بالخجل، فإنه قد يصبح خجولًا صامتاً، متأثراً بعامل المحيط، والبيئة.

ومهما يكن من الأمر، فإن صمت الخجل هذا، سواء كان نتاجا عن عوامل وراثية، أو تربوية، أو بيئية، أو كان ناتجاً عن فقدان الثقة بالنفس، أو خوفاً من التلعثم في الكلام، والوقوع في الخطأ، يمكن علاجه، لا سيما إذا كان نتيجة أسباب بيئية، أو تربوية، مع العلم انه حتى الصفات غير الإيجابية الموروثة، كثير منها قابل للتغيير، والتعديل.

والآن إذا أردت أن ترث الحكمة، بالدخول من أحد أبوابها الواسعة، حرى بك أن تتصف بصمت التفكر، والتعقل، والحكمة، وأن تكون رافضاً للظلم بشتى صوره، وأشكاله، وأن تكون شجاعاً، لا خجولًا.

❖ القاعدة السابعة: غض البصر

يقول تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ... ﴾[1].

---

١. سورة النور، الآية: ٣٠ – ٣١

قـد يرمـق الإنسـان بنظراتـه إمرأة يحـرم عليه النظـر إليها، فيشـعر بلـذة للحظات، وقـد ترمـق المـرأة بنظراتهـا رجـلًا يحـرم عليهـا النظـر إليه، فتشـعر بلـذة للحظات، ولكـن مـاذا بعـد ذلك؟

هـل تسـتمر هـذه اللـذة، أم أنها تتحـول إلى عتاب، وتوبيخ داخـلي، وإلى ندم، وقلق نفسي ؟

لا شـك أن الإنسـان المؤمـن يشـعر بالتوبيخ الداخـلي، والقلق، لأنه يعلـم انه إرتكب أمـراً محرمـاً، لا يـرضي اللـه، ورسـوله. أمـا ذلك الإنسـان البعيـد عن حظـيرة الإيمان، والمشـغول بلـذات الدنيـا، فـلا يهمـه شـيئا، ولربمـا لا يشـعر بالذنـب، لأن إرتكابـه للذنـوب أصبـح أمـراً طبيعياً، إلا أن الإنسـان مهما كان بعيداً عن الإيمان، فهو يشـعر بفطرتـه، أن مـا يقـوم بـه مـن عمل سيء، أمـر غير مرغـوب فيه.

ولا شـك أن الإنسـان يحمـل في داخلـه جـذور الفطـرة الإلهيـة، مهـما كان شريـراً، أو منحرفـاً، ولا شـك أن لعامل التقـوى، والورع عن المحرمـات، والإرادة الذاتية الصلبة، لهـا دور كبـير في الإمتنـاع عـن الأعـمال المحرمة التـي تغضب الله، ورسـوله.

واللـذة مؤقتـة، ولكـن آثارهـا عـلى الإنسـان تبقـى، فالنظـرة المحرمـة قـد يشـعر الإنسـان بلـذة فيهـا، ولكنهـا سرعـات مـا تتبخـر، وتبقـى تبعاتهـا.

يقول الإمام علي (ع):

«شـتان مـا بـين عملـين: عمـل تذهب لذتـه، وتبقـى تبعته، وعمـل تذهـب مؤونته، ويبقى أجـره»[1].

إننـا نعيـش اليـوم في عـالم أصبحـت فيـه المـرأة كالسـلعة المعروضة، والسـفور ينشر أجنحتـه هنـا، وهنـاك، ومـا أكـثر الدعايـات، والإعلانـات التـي أقحمـت فيهـا المرأة، وبشـكل سـافر، ولكـن هل مـن الصحيح أن يكون ذلـك مبرراً لنا لكي نـرضى بالواقع؛ ونخضـع لـه، ولا نغـض أبصارنـا عما حـرم اللـه؟ بالطبع، كلا!

صحيـح أن الإنسـان ميـال إلى الشـهوات، والغرائـز، ولكـن اللـه زوده بشـحنات مـن

١. نهج البلاغة – ص ٤٩٠

الإرادة، قـادرة عـلى مقاومـة الإغـراءات، والشـهوات المحرمـة. وهـذه المقاومـة التي قـد تسـبب للإنسـان ضغطاً نفسـياً، لـن تضيع هـدراً، فثمنها في الدنيـا، الحكمة، وفي الآخـرة رضـا اللـه - سـبحانه وتعالى - وجنـات عدن.

فـإذا أردت أن تلمـس آثار الحكمة في نفسـك، وتجنب نفسـك تبعـات اللذة الفانية، اللامشروعة:

«غض بصرك عما حرم الله».

❖ القاعدة الثامنة: إجاعة البطن

جاء في حديث المعراج:

«يـا أحمـد! إن العبـد إذا أجاع بطنه، وحفظ لسـانه، علمته الحكمـة، وإن كان كافراً تكـون حكمتـه حجـة عليه، ووبـالاً، وإن كان مؤمناً تكـون حكمته له نـوراً، وبرهاناً، وشـفاءاً، ورحمـة، فيعلـم مـا لم يكن يعلم، ويبصر مـا لم يكن يبصر. فـأول ما أبصره، عيـوب نفسـه حتى يشـتغل عـن عيوب غـيره، وأبصره دقائـق العلم حتـى لا يدخل عليه الشيطان»[١].

ويقول الرسول الأعظم (ص):

«التخمة تفسد الحكمة، البطنة تحجب الفطنة»[٢].

ويقول أيضا:

«من أكل طعاماً للشهوة، حرم الله على قلبه الحكمة»[٣].

ويقول الإمام علي (ع):

«القلب يتحمل الحكمة عند خلو البطن، القلب يمج الحكمة عند إمتلاء البطن»[٤].

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٧
٢. المصدر السابق - ص ٤٩٨
٣. المصدر السابق - ص ٤٩٨
٤. المصدر السابق - ص ٤٩٨

ماذا تشعر حينما تتناول كمية زائدة من الطعام؟

هل تشعر بتفتح في العقل، أم تشعر بانغلاق فيه، وميل إلى النعاس، والخمول؟

ليـس غريبـاً أن تربـط الأحاديـث الشريفـة، والروايـات، بـين إمتـلاء البطـن غيـاب الفكـرة والحكمـة.

يقول الرسول الأعظم (ص):

«نـور الحكمـة الجـوع، والتباعـد مـن الله الشـبع ... لا تشـبعوا فيطفئ نـور المعرفة مـن قلوبكم»[1].

ويقول الإمام علي (ع):

«لا تجتمع الفطنة والبطنة»[2].

ومتـى مـا غابت الفكرة، والفطنـة، غابت الحكمة، ذلك لأن إمتـلاء البطن، والتخمة، خـلاف التعاليـم الإلهيـة، وتعاليـم الرسـول (ص)، وأئمـة أهـل البيـت (ع)، وخـلاف العقـل، في التغذيـة الصحية، السـليمة.

يقول الإمام علي (ع):

«إياك والبطنة فمن لزمها كثرت أسقامه، وفسدت أحلامه»[3].

ويقول (ع) أيضا:

«التجوع أنفع الداء»[4].

ويقول (ع) أيضا:

«من إقتصر في أكله كثُرت صحته، وصلحت فكرته»[5].

---

١. المصدر السابق - ج ١ - ص ١٢٢
٢. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٧
٣. شرح الغرر والدرر - ج ٧ - ص ٣٦
٤. المصدر السابق - ص ٤٩
٥. المصدر السابق - ص ١٤

ومـن هنـا يمكـن القـول: أن الغـذاء الـذي هـو عامـل ضروري لبقـاء الإنسـان، فإنـه قـد يتحـول إلى عامـل وبال على جسـمه، ونفسـه، وفكـره، وحكمته، فيـما إذا أسرف فيـه، أو أسـاء إسـتخدامه، وكـما تقـول الحكمـة الشـعبية: كل شيء يزيـد عـن حده، ينقلـب إلى ضده.

وعليـه فـإن الحكمـة في التغذيـة التـي تعطـي الإنسـان قـوة في الجسـم، وتعطيـه الحكمـة في الفكـر، والعمـل، تتجـه إلى الإعتـدال في الطعـام، واللجـوء إليـه حـين الإحسـاس بالجـوع، وتركـه، والشـهية لازالـت باقيـة، وتنـاول الأطعمة التي تناسـب المعـدة، وتوافقهـا، ولا تتناقـض معهـا.

يقول الإمام الصادق (ع):

«ليست الحمية من الشيء تركه، إنما الحمية من الشيء، الإقلال منه»[1].

ويقول الإمام الرضا (ع):

«لو أن الناس قصروا (قللوا) في الطعام، لاستقامت أبدانهم»[2].

والتغذيـة الحكيمـة، المعتدلـة في الكـم، والكيـف هـي التي تجعل الإنسـان مرشـحاً لأن يكـون حكيـماً، لأنهـا تجعـل أجهـزة الجسـم، كالجهـاز الهضمـي، والعصبـي، والـدوري، والتنفـسي، والبـولي، والتناسـلي، واللمفـاوي، وغيرهـا مـن سـائر الأجهـزة، تجعلهـا تعمـل بشـكل سـليم، ومنتظـم، وحكيـم، إذ أن هنـاك إرتباطاً بـين التغذية، ومحيـط الإنسـان، وبيئتـه، وهـي مـا تسـمى بالعوامـل البيولوجيـة، وبـين تفكـيره، وتصرفاتـه، وأعمالـه.

والتقليـل مـن تنـاول الغـذاء، ليس بالحمية فقـط، بل هناك الصوم بشـقيه الواجب، والمنـدوب، وهـو مـن العبـادات التـي تصـح الجسـم مـن جهـة، وتعطـي الإنسـان الحكمـة مـن جهـة أخـرى. إن الصـوم الـذي هـو إمتنـاع عـن المفطـرات الماديـة، كالأكل، والـشرب، والمعنويـة، كالغيبـة، والنميمة، والكذب، يعتبر من العبادات التي

1. رمز الصحة في طب النبي والأئمة – ص ٤٣
2. المصدر السابق – ص ٤٣

تلعب دوراً كبيراً في التربية الجسمية، والنفسية، والروحية، وتقوي القوة العاقلة في الإنسان، وتجعل بقية القوى وهي القوة الغضبية، والقوة الشهوية، والقوة الشيطانية، منقادة لها، وحينما تكون القوة العاقلة، هي القائدة، والغالبة، والقاهرة، آنئذٍ يكون الإنسان حكيماً، وعكس ذلك صحيح تماماً.

فإذا أردت أن تجري الحكمة، في فكرك، وفي ممارساتك العملية، أجع بطنك بالحمية، والصوم. وفي الصوم الخير الكثير، ولو لم يكن كذلك لمَا شرعه الله وكتبه على المؤمنين. ومن صفات الأنبياء، والأئمة (ع) أنهم كانوا صوامين، فأثبت الله الحكمة في قلوبهم. أما عن الحمية فإن الطب الحديث يرى أن من أولويات علاج غالبية الأمراض والوقاية منها، هي الحمية.

❖ القاعدة التاسعة: حفظ اللسان

يقول الإمام الباقر (ع):

«إن هذا اللسان مفتاح كل خير، وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه، وفضته، فإن رسول الله (ص)، قال: رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شر، فإن ذلك صدقة منه على نفسه»[١].

ويقول الرسول الأعظم (ص):

«لا يسلم أحد من الذنوب، حتى يخزن لسانه»[٢].

ماذا يقصد بحفظ اللسان؟

اللسان - في حد ذاته - قطعة محددة من اللحم، ولكن هذه القطعة من اللحم، إن أطلق الإنسان لها العنان، قادته إلى الرذائل والمهالك ومن هنا فليس عجيباً أن تكون حصائد اللسان سبباً لدخول الإنسان النار. ولذلك ركز الإسلام الحنيف تركيزاً شديداً على اللسان، وطريقة إستخدامه، وحفظه، باعتباره آداة واسعة الإستخدام.

---

١. تحف العقول - ص ٢١٨

٢. ميزان الحكمة - ج ٨ - ص ٤٩٤

فالمطلوب مـن الإنسـان – لـكي يكـون حكيـماً – أن يعـرف كيـف يسـتخدم لسـانه، ومتـى، وأيـن. فيتكلـم في موضـع الـكلام، ويسـكت في موضـع السـكوت، ولا يغتـب النـاس، ولا ينـم عليهـم، ولا يحقرهـم بلسـانه، ولا يسـتهزئ بهـم، ولا يتكلـم عليهم بالسـوء، والـشر، ويلتـزم بكافـة الأخلاقيـات التـي تعتمـد عـلى حفظ اللسـان.

إن هنـاك قسـماً مـن النـاس – بـدل أن يؤمـر عقلـه على لسـانه – يؤمر لسـانه على عقلـه، فـلا يعـير إهتمامـاً بلسـانه، ولا يحفظـه، فـتراه يتكلـم متـى شـاء، وأني شـاء، فيغتـاب هـذا، وينـم عـلى ذاك، ويتهم آخر، ويقحم نفسـه في موضوعـات كلامية لا يعيهـا جيـداً، ويـورط نفسـه في الفـتن، ويتحـول هـذا اللسـان إلى معـول تخريب في المجتمـع، وتصبـح شـخصيات هـذا القسـم من النـاس، ضعيفة، واهنة، غـير حكيمة، لأنـه ليـس من الحكمـة أن لا يحفظ الإنسـان لسـانه.

يقول الإمام علي (ع):

«اللسان معيار، إطاشة الجهل، وأرجحه العقل»[1].

ويقول (ع) أيضا:

«... وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه»[2].

وتقول الحكمة الشهيرة: «لسانك حصانك. إن صنته صانك، وإن خنته خانك».

إنـك إذا حفظـت لسـانك، وصنتـه، تتحـول إلى قلعـة حصينـة، بلسـانك، وإذا خنتـه، وأطلقـت لجامـه، تبـدأ تلـك القلعـة بالإنهيـار: ثـم يرديـك، ويهلكك.

يقول الإمام علي (ع):

«لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[3].

فلـكي ترثـن الحكمـة حـري بـك أن تكـون عاقـلاً، ولـكي تكـون عاقـلاً لابـد أن يكون عقلـك قائـداً للسـانك، وليـس العكس.

---

١. ميزان الحكمة – ج ٨ – ص ٤٩٠

٢. نهج البلاغة – ص ٤٦٩

٣. ميزان الحكمة – ج ٨ – ص ٤٩٤

ويقول (ع): أيضا:

«اللسان سبع، إن خلي عنه عقر»[1].

فهذه القطعة من اللحم التي في فمك، تتحول إلى وحش عضاض، شرس كاسر، فيما إذا تركتها وشأنها، وخليت سبيلها.

ويقول (ع):

«الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك، وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة، وجلبت نقمة»[2].

***

قال رجل لرسول الله (ص): أوصني.

فقال (ص): إحفظ لسانك.

ثم قال له: يا رسول الله! أوصني.

قال (ص): احفظ لسانك.

ثم قال: يا رسول الله! أوصني.

فقال (ص): ويحك، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟![3].

***

فإذا أردت أن تكون حكيماً في دار الدنيا، ومرفوع الرأس في الدار الآخرة، عليك بهذه الوصية القيمة: «إحفظ لسانك».

---

١. المصدر السابق – ص ٤٩٤
٢. نهج البلاغة – ص ٥٤٣
٣. تحف العقول – ص ٣٩

❖ القاعدة العاشرة: التبصر في عيوب النفس، والإنشغال عن عيوب الغير

عـادة مـا يلجـأ الإنسـان إلى النظـر في عيوب غيره، ونسـيان عيوب نفسـه، والسـبب يرجـع بالدرجـة الأولى إلى حـب الـذات، أو حـب الأنـا. ومـا مـن إنسـان إلا ويحـب ذاتـه، إلا أن التفـاوت في ذلـك موجـود، فبعـض النـاس يحـب ذاتـه ولكـن بدرجـة عاديـة غـير مفرطـة، والبعـض الآخـر يفـرط في حـب ذاتـه، فيتصـور أن كل مـا يقوم بـه حسـن، حتـى ولو كان قبيحاً، ويتصور نفسـه كاملاً، والآخريـن ناقصين، أو يتصور نفسـه مصيبـاً، والآخريـن عـلى خطـأ، وينشـغل في عيـوب الآخريـن، وينـسى أنـه لا يخلـو مـن العيـوب، مهـما تصـور أنـه متكامل.

وحـب الـذات المفـرط، يمكـن أن نطلـق عليه الـروح الأنانيـة، وهناك أسـباب أخرى غيرهـا، قـد تقـود الإنسـان إلى النظر في عيوب غـيره، وعدم التبصر في عيوب نفسـه، منهـا: الغـرور، والتكـبر، والعجب، والشـعور بالحقارة، والحسـد. ويعتـبر حب الذات جـذراً، أو أُمـاً لهذه الأسـباب، أو الصفات.

وقـد يلجـأ الإنسـان إلى التبصر في عيوب غيره، وعدم الإنشـغال بعيوب نفسـه، جهلاً منـه بـرداءة هذا الفعل، فتراه يمارسـه، وكأنه أمـر إعتيادي.

ولـكي تنبـصر في عيـوب نفسـك، وتنشـغل عن عيـوب غـيرك، لا تكن مفرطـاً في حب ذاتـك، وإذا كانـت ثمـة صفـة أخرى تسـبب لك ذلك، فاعمـل على أن تتخلـص منها، واعلـم أن التركيـز في عيـوب الغـير، ونسـيان عيـب النفـس، صفـة رديئـة، لابـد مـن التخلـص منها.

يقول الإمام علي (ع): «أعقل الناس من كان بعيبه بصيراً، وعن عيب غيره ضريراً»[١].

ويقول الشاعر:

إذا شئت أن تحيا خلياً من الأذى *** وعيبك مستور، وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة إمرئ *** فكلك عورات، وللناس أعين[٢]

١. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٢٨٦

٢. الديوان المنسوب للإمام على

فـإذا أردت أن تكـون حكيـماً، لا تتصـور أنك خـال من العيوب، تبصر فيها، وانشـغل عن عيـوب الآخرين.

القاعدة الحادية عشرة: إجمال النطق.

يقول أمير المؤمنين (ع):

«كسب الحكمة، إجمال النطق، وإستعمال الرفق»[1].

مـن نعـم اللـه على الإنسـان، أن أعطاه طرقاً وأسـاليب، يمكنه التعبير بهـا عن حاجاته، وبأقصر شـكل، وبأدني جهد، وذلك بإسـتخدام الأسـلوب الكلامي، الجزل، المجمل.

فـإذا أردت أن تحـدث الآخريـن، مـن الجيـد لـك أن تسـتخدم الكلام المجمـل، المعبر عـن المعنـى، ولا داعـي لأن توجـع آذان الآخريـن، ورؤوسـهم - فضـلا عـن أذنيـك، ورأسـك - بالإسـهاب في الـكلام، بـلا طائل.

إن هنـاك قسـما مـن النـاس، إذا أرادوا أن يعلنـوا قضية، أو عمـلاً، أو مهمة، أو خبراً، تراهـم يتكلمـون في ذلـك، مـرة، وأخـرى، وثالثة، ويـدورون في حلقـة تكرارية مملة. وهـذه الطريقـة في التحـدث، والتعبـير، توحـي للمسـتمع بالضعـف في شـخصية المتكلـم، فضـلاً عـلى أن الأول يمـل هـذه الطريقـة في التحـدث، وينزعـج منهـا، لا سـيما إذا لم يكـن رحـب الصـدر. ولكـن لو أن المتكلـم عبر عما يريد إعلانـه، والتكلم فيـه، بمنطـق مجمـل، لـكان أفضـل لـه، وأحكـم. ولا يعنـي ذلـك - بـأي شـكل مـن الأشـكال - التحدث للآخرين بشـكل مبهم، ومعقد، وإنما بأسـلوب مبسـط، مجمل، ومعـبر في نفـس الوقـت. ولا يعنـي ذلـك - أيضـاً - أن لا يفصـل القضيـة التي يكون التفصيـل، الطريقـة الوحيـدة لفهمهـا، أو تلـك التـي تتطلـب طبيعتهـا، أو أهميتها، الـشرح، والتفريـد، والتفصيل.

وهنـاك قسـم مـن النـاس، إذا أراد أن يوضـح قضيـة معينـة، واضحة، تـراه يطنب في توضيحهـا أكـثر مـن الـلازم، فتتحول إلى إسترسـال ممـل، ويكون توضيحهـا أعقد من تركهـا كـما هـي عليه، ولـذا قيل: توضيـح الواضحات، من أشـكل المشـكلات.

---

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٧

يقول الإمام علي (ع):

«إذا تم العقل، نقص الكلام»[١].

فإذا أردت أن يتم عقلك، وتجري الحكمة على لسانك فلا تنسى هذه القاعدة الذهبية:

«أجمل في النطق، بشكل معبر، وبسيط».

القاعدة الثانية عشرة: إستعمال الرفق.

قد يشعر الإنسان بالغرابة، حينما يعلم بأن الرفق من مورثات الحكمة. ولكن - في الحقيقة - لا غرابة أبداً، فهذا الرفق، واللين الذي قد ينظر الإنسان إليه نظرة سطحية غير واعية، يمكن أن يفتح له باب واسعاً من أبواب الحكمة.

والرفق يعني: أن تكون ليناً في علاقاتك، وتعاملك مع إخوانك، لا مجال للعنف بينك، وبينهم. بل إن من سماحة الإسلام أنه جعل حتى معاملة الإنسان للحيوان، معاملة الرفق واللين. أما العنف، والخشونة فهي وسيلة التعامل الموضوعية، مع الطغاة والظالمين، والمستكبرين، والمنافقين، وأعداء الدين.

يقول القرآن الحكيم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

ويقول أيضا:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣].

١. نهج البلاغة - ص ٤٨٠

٢. سورة التوبة، الآية: ٧٣

٣. سورة الأنفال، الآية: ٦٠

إن قوى الإستكبار، والإمبريالية، تنظر إلى كفاح الشعوب العلمية - ومنها الشعوب الإسلامية - ضد الظلم، والإستعباد، والفساد، ومن أجل حقوقها المشروعة، تنظر إليه على أنه إرهاب تجب مكافحته، وفي الحقيقة أن المستكبرين والإمبرياليين، هم الإرهابيون فعلاً، وإن ما تقوم به الشعوب والحركات، ومنها الشعوب الإسلامية، والحركات الإسلامية العاملة، هو الطريقة الموضوعية لنيل المطالب، والحقوق، وكما يقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني *** ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وهناك قسم، من المغفلين يتصور أنه حتى الطغاة الجائرين، يجب معاملتهم بالرفق، ويستدلون على ذلك بأن الإسلام دين الرفق. وهذا خطأ فادح، وهؤلاء هم ممثلوا الأيادي الإستعمارية في الشعوب، سواء كان بإرادتهم أم بغيرها. وإلا هل تعامل السارق الذي دخل بيتك، وغصب منه ما غصب، ونهب منه ما نهب من ممتلكاتك، هل تعامله بأن تقدم له باقة من الورد، أو تعطيه كل ما يريد، أم يلزمك أن تتخذ رد فعل رادع له من هذه الجريمة، لإسترجاع حقوقك؟!

من هنا، فلا رفق بالطغاة وأعداء الدين، وإنما الرفق بالإخوان، والأصدقاء، والمؤمنين، وعموم الناس الصالحين، والطيبين.

***

يقول الرسول الأعظم (ص):

«من حرم الرفق، فقد حرم الخير كله»[١].

ويقول (ص) أيضا:

«من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والأخرة»[٢].

ولا ننسى أن من يؤت الحكمة أوتي خيراً كثيراً، والرفق فيه خير كثير، وبالتالي فهو من الحكمة.

فإذا أردت أن تدخل باباً من أبواب الحكمة، عليك باستعمال الرفق مع الناس.

١. تحف العقول - ص ٣٥

٢. ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ١٥٧

❖ القاعدة الثالثة عشرة: صدق الحديث.

قيل للقمان – عليه السلام -:

ألست عبد آل فلان؟

قال: بلى.

قيل: فما بلغ بك ما نرى؟

قال: «صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، وغض بصري، وكف لساني، عفة طعمتي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوقي، ومن عمله فهو مثلي» [1].

ويقول الإمام الكاظم (ع):

«من صدق لسانه، زكى عمله»[2].

صفة الصدق، من الصفات التي تعبر عن صفاء نفس الإنسان، وشفافيتها. وهي من الصفات التي تعطي تطابقاً بين ما يكنه الإنسان داخل صدره، وبينما يقوله، ويفعله، ويقرره، في الواقع الخارجي. وهو ضد الكذب، الذي هو إعطاء حقائق، خلاف لتلك الحقائق الموجودة في النفس.

والكذب، من علامات النفاق، الذي هو إظهار خلاف لما في الباطن، حيث أن المنافق لا يعير للصدق أي إهتمام، وربما يلجأ إلى الصدق إذا كان لمصلحته، ويستخدم الكذب، لتحقيق أهدافه، ومآربه، ومصالحه.

يقول رسول الله (ص):

«للمنافق ثلاث علامات: إن حدث كذب، وإن ائتمن خان، وإن وعد أخلف» [3].

وبما أن الكذب من صفات المنافقين، فإن الصدق من صفات المؤمنين المتقين

---

١. المصدر السابق – ج ٢ – ص ٤٩٧

٢. ميزان الحكمة – ج ٥ – ص ٢٨٦

٣. تحف العقول – ص ٩

الذين يتقون الله حق تقاته، ويخشونه حق خشيته، وبالتالي فإن الصدق من صفات الحكماء الذين يضعون الشيء موضعه، والذين هم بالدرجة الأولى مؤمنون، ومتقون.

فإذا أردت أن ترث الحكمة، عليك بهذه القاعدة التي عمل بها كل الأنبياء، والرسل، والأئمة (ع)، والصالحون:

«أصدق في حديثك».

القاعدة الرابعة عشرة: أداء الأمانة.

هل حدث أن أودع شخص ما أمانة عندك؟

فإذا كان جوابك بالإيجاب، فما هو الشعور الذي ينتابك، وأنت تتسلم الأمانة من يد ذلك الشخص؟

وهل إنتابك إحساس بأن هذه الأمانة مسؤولية في عنقك، ولا بد من المحافظة عليها، وإرجاعها إلى صاحبها - براً كان أو فاجراً - وقت الطلب؟

وهل إنتابك شعور بالخوف من الله، وأنت تحتفظ بتلك الأمانة، متحرزاً من ميول نفسك الشيطانية التي قد تحدثك بتضييع تلك الأمانة، وعدم أدائها؟

إذا كانت أجوبتك بالإيجاب، فإن باباً من أبواب الحكمة، قد إنفتح لك، وأصبحت أميناً، يرغب الآخرون في إيداع أماناتهم عندك، وكنت ذلك الإنسان الموثوق، الذي على درجة من تقوى الله وخشيته.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1].

فكم هي الراحة، والمتعة النفسية، والنجاح في الإجتماع - فضلًا عن رضا الخالق - التي يجنيها الإنسان حينما يؤدي أمانة اؤتمن عليها، ويتقلد وسام الأمانة!

١. سورة النساء، الآية: ٥٨

يقول الإمام الصادق (ع):

«عليكم بالورع، والإجتهاد، وصدق الحديث، وآداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها، براً كان، أو فاجراً، فلو أن قاتل علي بن أبي طالب (ع) ائتمنني على أمانة لأديتها إليه»[١].

إذن، فلكي ترث الحكمة، وتتذوق حلاوتها، حري بك أن تعمل بهذه القاعدة الإيمانية:

«أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[٢].

القاعدة الخامسة عشرة: ترك ما لا يعني:

الإنسان في هذه الحياة، مكلف بمسؤوليات متعددة، إلا أن لهذه المسؤوليات حدوداً، ليس من الجيد تخطيها، وخرقها، لأن خرق حدود المسؤوليات، مفسدة للأعمال، وتعكير لصفو المتصدين للمسؤوليات المخروقة.

ومن القواعد التي تتيح للإنسان إحترام مسؤولياته، ومسؤوليات الآخرين، ترك ما لا يعنيه، وعدم التدخل فيما هو خارج عن نطاق مسؤوليته.

وفرق بين التدخل فيما لا يعني، وبين المبادرة، فالتدخل، عادة، قد تتكون في الإنسان، أو هو مبادرة في غير محلها. أما المبادرة الحقيقية، فهي ظرف إستثنائي، يلجأ إليه في حالات خاصة. كذلك فإن المبادرة يجب أن تكون مدروسة، وهي على نوعين من حيث الآثار المترتبة عليها: مبادرة لا تؤثر على مجرى العمل إلا يسيراً، وأخرى تؤثر على مجرى العمل بشكل كبير أو تشكل خطورة عليه، وربما تقلبه رأسا على عقب، وتضيع الهدف المنشود منه.

والتدخل في شؤون الآخرين، ومسؤولياتهم، قد يكن بأكثر من وسيلة، فإما عن طريق اللسان، والتدخل الكلامي فيما لا يعني، أو عن طريق العمل، والممارسة، أو التقرير.

١. ميزان الحكمة - ج ١ - ص ٣٤٥

٢. شرح الغرر و الدرر - ج ٧ - ص ٢٦

تصـور نفسـك مديـراً مكلفـاً بـإدارة مـشروع معـين، ثـم يـأتي شـخص آخـر ويتدخل في مسـؤوليتك، فيزيحـك ويتحمـل الإدارة بـدلاً منـك، أو أنـه يقحـم نفسـه في قضايا إداريـة تخصـك، فهـل هـذا التـصرف، صحيـح، أم أنـه تدخـل فيـما لا يعنيه؟

وقس على ذلك الكثير من الأمثلة، وفي جميع المجالات.

إن بعضـاً مـن النـاس يقحمـون أنفسـهم في قضايـا، وأعـمال لا ترتبـط بهـم، ولا تعنيهـم، أو قـد ترتبـط بهـم، ولكنهـم ليسـوا مكلفـين بهـا مبـاشرة. وهـذه طفيليـة فيهـم ينبغـي لهـم أن يتخلصـوا منهـا، فهـم كالذبـاب، فهـو طفيـلي يقحم نفسـه في الحلـول عـلى أي شيء يـراه، عنـاه أم يعنـه، نظيفـاً كان، أم قـذراً، أو هـم كالأطفـال الذيـن ينشـغلون بـأي شيء ترمقـه عيونهـم، ويتدخلـون فيـه، ولذلـك سـمي الطفل طفـلًا، لأن فيـه صفـة الطفيليـة، وهـي حالـة ناتجـة عـن نقصـان في تكامـل القـوة العقليـة فيـه. ولذلـك فإن الطفـل ليس مكلفاً في الإسـلام، ويبدأ تكليفـه حينما يصل إلى سـن الرشـد، والبلـوغ.

إلا أن هنـا نقطـة هامـة لابـد مـن التذكير بهـا، وهـي: أنـه ليس المقصود مـن ترك ما لا يعنـي، أن يتنصـل الإنسـان عن أداء مسـؤولياته الحياتيـة، والرسـالية، متذرعاً بأن تلـك المسـؤوليات لا تعنيـه، أو أن تحملـه لهـا وضـع لنفسـه في التهلكـة، كـما يحلـو للبعـض أن يـبرر هكـذا، وهـذا تبرير، وتقاعس من الإنسـان في هـذه الحالة، إذ لا بد للإنسـان أن يتحمـل مسـؤولياته الدينيـة، والرسـالية بنيـة صادقـة، وإخـلاص، وبكل مـا أوتي مـن قـوة، مـن أجـل أن ترتفـع راية الإسـلام، وترفرف عـلى أرض هـذا العالم، لتمـلأ قسـطاً وعـدلاً، بعدمـا مُلئت ظلـماً وجوراً.

وكـما بينـا سـابقاً، إن تـرك مـا لا يعنـي، لا يقصـد منـه تـرك المبـادرة في الحـالات الخاصـة، والإسـتثنائية، التـي تكون فيها المبـادرة أمراً لازماً. أو محبـذاً. ولنضرب مثلًا للمبـادرة اللازمـة في الحالـة الخاصـة:

***

حدث أن صديقين ذهبا إلى مُنتزه لقضاء وقت طيب، وجلسـا بحذاء طاولة وضعت إلى القـرب مـن حافـة البركة التي وضعت فيها قوارب الأطفال التي تسير بحركة الأرجل.

وفي الأثناء، مر طفل في الرابعة من عمره بحذاء حافة البركة، وهو سارح في الخيال، وما هي إلا لحظات، وسقط الطفل في البركة – التي كانت عميقة نسبياً – وأخذ يغرق، فما كان من أحد الصديقين إلا أن بادر، وقذف بنفسه إلى الماء وراء الطفل وكان الصديق يرتدي بدلة، وضعت فيها بطاقته الشخصية، ومبلغاً من المال، وانتشل الطفل من الماء، وأنقذه من الموت، ولو لم يبادر لكان موت الطفل محققاً.

ومثال آخر:

يدخل أحد الجيوش معركة ضد عدو له، وللجيش قائد، ونائب للقائد. وفي أثناء القتال يصادف أن يقتل القائد، ونائبه، فيقوم أحد الضباط، أو الجنود، بأخذ زمام المبادرة، وتولي قيادة الجيش.

***

فإذا أحببت أن ترث الحكمة، حري لك أن تلتزم بهذه القاعدة العقلانية:

«إترك ما لا يعنيك، ولا تنسى المبادرة في الحالات الخاصة».

القاعدة السادسة عشرة: التواضع.

هل حدث لك أن تمشيت – في ليلة قمراء – بحذاء بركة، أو ترعة ماء؟

لا شك أنك كنت تفعل ذلك، فتشاهد صور النجوم منعكسة على صفحة الماء، بكل تواضع، وأريحية، مع أن هذه النجوم تبعد عن الأرض عدة سنوات ضوئية على أقل التقادير.

وهل حدث لك أن رأيت سُحباً من الدخان المتصاعد إلى عنان السماء؟ ولا شك – أيضاً – أنك رأيته يتصاعد متبختراً بنفسه، زاهياً بها. ولكن أين الدخان من النجم؟

فما أجمل النجم الرفيع، وهو يتواضع؟

وما أتفه الدخان الوضيع، وهو يتعالى!

يقول الشاعر:

تواضع، تكن كالنجم لاح لناظر *** على صفحات الماء، وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه *** إلى طبقات الجو، وهو وضيع

فما أجمل الإنسان حينما يكون للآخرين!، وما أشبهه بنقطة النور التي تتجمع عليها الفراشات الحائمة! وما أعظم التواضع الذي يفعل في الناس فعل السحر، فينشدون إلى ذلك الإنسان المتواضع، كما ينشد المتفرجون في حديقة خضراء، إلى وردة جميلة، بهية الألوان، تفوح منها رائحة العطر!

وهكذا هو التواضع، جاء ومكانة للإنسان، ورفعة، وليس وضاعة، وذلة. إن البعض من الناس يتصور أن التواضع ضعف، وذلة في الإنسان، ووهن في شخصيته، فيلجأون إلى الغرور والتكبر، أو أنهم يلجأون إلى انتهاز تواضع الإنسان، فيتأمرون عليه، أو يحقرونه، أو يستهزؤون به، ولكن الحقيقة خلاف ذلك، فالمتواضع هو قوي الشخصية، وإن بدا ليناً متسامحاً، وهو الذي يكسب الناس إليه. بينما ينفر الناس من المغرور، والمتكبر، كما تنفر الغنم من الذئب المداهم لها.

يقول القرآن الكريم في وصف المؤمنين المتواضعين:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[١].

ويقول الإمام علي (ع):

«من تواضع عظمه الله ورفعه»[٢].

ويقول الإمام الكاظم (ع):

«إن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تُعمر قلب المتواضع، ولا تُعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل»[٣].

١. سورة الفرقان، الآية: ٦٣

٢. شرح الغرر و الدرر - ج ٧ - ص ٤٠٦

٣. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩٨

فـإذا أردت أن تكـون حكيماً، محبوباً، محشـوداً، كنقطة العسـل التـي يتهافت عليها النمـل، ويتجمـع، أو كالـوردة الجميلـة العبقـة التـي تفـوح منهـا رائحـة النرجـس، أو الياسـمين، وينشـدّ الناظـرون إليهـا، إذا أردت ذلـك فلتـدرب نفسـك عـلى فـن التواضـع – ومـا أسـهله مـن فـن! -، وأعمـل عـلى أن يكـون التواضـع تقليـداً فيـك وسـجية وطبعاً.

القاعدة السابعة عشرة: الأخلاق الصالحة.

يقول الإمام الهادي (ع):

«الحكمة لا تنجح في الطباع الفاسدة»[1].

ويقول الإمام علي (ع):

«الخالق المحمود من ثمار العقل»[2].

***

جاء في سيرة الرسول الأكرم (ص) أنه:

أرسـل عليـاً، في سريـة لبـلاد طي، قوامهـا مائة، وخمسـون رجلًا، ليهـدم صنماً كانوا يقدسـونه، في مـكان يدعـى الفلـس. فخـرج بمـن معـه في ربيـع الثـاني، مـن السـنة التاسـعة للهجـرة. ومـضى عـلي يقـود تلـك السريـة، حتـى قـارب بعـض الأحيـاء العربيـة المواليـة لطـيء، ومـع تباشـير الفجـر مـضى بمـن معـه إلى أحيـاء طـيء، وشـن عليهـم هجومـاً مفاجئاً، فمزق شـملهم، وقتـل جماعة منهـم، وأسر بعضهم، وفـر الباقـون، واسـتولى عـلى بعـض مواشـيهم، وهـدم الصنم الـذي كانـوا يلوذون بـه، وأخـرج مـن خزانتـه ثلاثـة سـيوف، وثلاثـة دروع، وفـر زعيمهـم، عـديّ بـن حاتـم الطـائي إلى بـلاد الشـام. ورجـع علي بـالأسرى، والغنائـم، إلى المدينـة، وكانت سـفانة بنـت حاتـم الطـائي معهـم، فأنـزل السـبي في حظـيرة إلى جانـب المسـجد، قـد أعـدت لهـذه الغاية.

١. المصدر السابق – ص ٤٩٩

٢. شرح الغرر و الدرر – ج ٧ – ٥

ومـر النبـي بـالأسرى، وهم في تلك الحظـيرة، فقامت إليه سـفانة، وكانت ذات عقل، ووقار، وقالت:

يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الرافد.

فقال: من رافدك؟

قالت: عدي بن حاتم؟

فقال: الفار من الله، ورسوله؟!، ومضى.

وفي اليوم الثاني مر الرسول، فأشار علي إلى سفانة أن تكلم النبي، وكان مما قالت له:

يـا محمـد! إن رأيـت أن تخـلي عنـي، ولا تشـمت بنـا أحيـاء العـرب، فـإني إبنـة سـيدهم. وكان أبي يحمـي الذمـار، ويفـك العـاني، ويشـبع الجائـع، يكسـو العـاري، ويفـشي السـلام بـين النـاس، فامنـن علينـا مـن اللـه عليـك.

فقال: قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، وإذا أردت الذهاب آذنيني.

فقالت: أنا لوحدي، أم ومن معي.

فقـال بمـا معنـاه: أنـت ومـن معـك، ولـو كان أبـوك مسـلماً لترحمنـا عليـه. أطلقـوا سراحهـا، لأن أباهـا كان يحـب مـكارم الأخـلاق.

وبقيـت عنـده معـززة، مكرمـة، حتـى إذا جـاء وفد طـيء، أخبرته أن لهـا فيهم ثقة، وإطمئنانـا. فكسـاها الرسـول (ص)، وحملهـا عـلى بعـير، وأعطاهـا مـن النفقـة مـا يسـد حاجتهـا، وفي روايـة أعطاهـا مـن الغنـم والإبـل، مـا امتـلأت بـه الصحراء.

فلما رأت عطاءه، قالت:

شـكرتك يـد إفتقـرت بعـد غنـى، ولا ملكتك يد إسـتغنت بعد فقر، أصـاب الله ببرك موضعـه، ولا جعـل لـك إلى لئيم حاجة، ولا سـلب نعمة من كريم، إلا وجعلك سـبباً لردهـا عليها [١].

١. سيرة المصطفي - هاشم معروف الحسني - ص ٦٤٦

إذا كانـت الأخـلاق ثمـرة من ثمـرات العقـل، ونتيجة لإسـتخدامه على الوجـه الأصلح (الحكمـة العمليـة)، فـإن من الحكمة العمليـة، الأخلاق، التي مـن أفرادها الحكمة.

وكل شيء صالـح لا ينمـو إلا في البيئة الصالحة. والأخلاق الصالحة، والعادات الحميدة، والطباع الحسـنة، والسـجايا الخيرة هي البيئة الصالحة، والمناخ الحسن، لنماء الحكمة، ونجاحهـا في الإنسـان. ومـن هنـا قلـما تجـد إنسـاناً ذا طبـاع فاسـدة، وأخـلاق سـيئة، وسـيكون حكيـماً. هـذا إذا إعتبرنـا أن الحكمـة هـي ممارسـة وضع الـشيء في موضعه عمليـاً. وإذا إعتبرنـا الحكمـة هـي المعـارف الحقيقيـة التـي يتضمنها القـرآن الحكيم، كوحدانيـة اللـه، وأزليتـه، ووجـود حيـاة آخـرة بعـد الحيـاة الأولى، والمـوت، والحـشر، والحسـاب، والجنـة، والنـار، و ... إذا إعتبرنـا الحكمـة كذلك، فإنها أيضـاً لا تتواجد، ولا تنمـو، ولا تنجـح في ظـل الأخـلاق السـيئة، لأن الأخـلاق السـيئة، تجر الإنسـان إلى قلة الإهتـمام بالمعـارف الحقيقيـة القرآنيـة، وربمـا تجـره إلى إنكارها كمرحلـة متطورة من الفسـاد الأخلاقـي. وهـذه الحقيقـة تفسر لنا ضعـف الإرتبـاط الروحي بالله سـبحانه وتعـالى، وبالمعـارف الحقيقية، عنـد أصطحاب الأخلاق الفاسـدة.

وبتعبـير آخـر، إن الإنسـان الأخلاقـي هـو المرشـح لأن يكـون حكيـماً، عـلى صعيـد العلـم والإيمـان بالمعـارف الحقيقيـة التـي يتضمنهـا القـرآن الكريـم، وعـلى صعيـد تطبيـق وضـع الـشيء في موضعـه، وعـلى صعيـد الوعـي والعقـل والفكـر.

والأخـلاق التـي تتسـبب في وراثة الإنسـان الحكمة لا غني للإنسـان عنها كيفما كان، وفي أي ظـرف مـن الظـروف، وفي أي زمـن مـن الأزمنة، سـواء كان أميـاً، أو كان عالمـاً متضلعـاً في العلـم، ومتبحـراً فيـه. إنـك تجـد مـن الناس من هـو حكيم مـن الناحية العلميـة، أي عـلى مستوى رفيـع مـن العلـم، ولكنـه ليـس أخلاقيـاً. وما أكـثر الناس الذيـن ينتمـون إلى هـذه النوعيـة - في عصرنـا الحـاضر - فتراهم متعمقـون في فرع أو أكـثر مـن فـروع العلـم، ولكـن رصيدهم من الناحيـة الأخلاقية، يـكاد يكون صفـراً على الشـمال، فـما قيمـة العلم، في غيـاب الأخلاق؟!

إن الأخـلاق قاعـدة ضروريـة لنشـوء الإنسـان الحضـاري، كـما أنهـا قاعـدة ضروريـة - أيضـاً - لبقـاء وتقـدم الحضـارات. ومـن هنـا فـإن مـن أحـد عوامـل إنهيـار

المجتمعات والحضارات، هو تضييع الأخلاق، والفساد، والإنحلال الأخلاقي. وما أكثر الحضارات القديمة التي سقطت بسبب الإنحراف، والتفسخ الخلقيين! وما أكثر الأنظمة التي تنهار في عصرنا الحاضر، ويكن للإبتعاد عن الأخلاق، وممارسة الفساد الدور الأكبر في تسبيب إنهيارها!

وفي قصص القرآن الحكيم العديد من الأمم والحضارات، التي قد دمرت، بسبب الإنحراف الأخلاقي، الفساد، وغياب الحكمة، ومنها ما تذكره السورة الكريمة التالية:

يقول تعالى، في سورة الفجر:

﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ. أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي. وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ويقول الشاعر:

وإنما الأمم، الأخلاق ما بقيت *** فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والإسلام هو دين الأخلاق، والآداب، وهو يحترمها أيما احترام، ويشجع على تطبيقها، والإلتزام، والتطبع بها، وبالتالي فهو يعطي للأخلاق دوراً رئيساً في حياة الإنسان، في إنشاء الحضارة. بل إن من أهم أهداف الثورة في الإسلام، هو إحلال واقع الأخلاق، محل واقع اللاأخلاق. وإطلاق الرسول سراح سفانة بنت حاتم من الأسر، لأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، يعطي درساً لنا، بأن الإسلام يحترم الأخلاق، حتى لو كانت صادرة من الكافر، لأن الإسلام يدعو إلى الأخلاق.

يقول الإمام علي (ع): «حُسن الخُلق رأس كل بر» [١].

ويقول (ع): «ثمرة الأدب حُسن الخُلق» [٢].

والآن إذا أردت أن تكون حكيماً، عارفاً، وواضعاً للشيء في موضعه، أعمل على أن تكون ذا أخلاق صالحة، محمودة.

---

١. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٩٤

٢. المصدر السابق – ص ١١

من آثار الحكمة

يقول الرسول الأعظم (ص):

«كاد الحكيم أن يكون نبياً» [١].

ويقول (ص) أيضاً:

«لا حليم إلا ذو عترة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»[٢].

ويقول الإمام علي (ع):

«الحكماء أشرف الناس أنفساً، وأكثرهم صبراً، وأسرعهم عفواً»[٣].

ويقول (ع) أيضاً:

«الحكيم يشفي السائل، ويجود بالفضائل»[٤].

ويقول (ع) أيضاً:

«إن كلام الحكيم إذا كان صواباً كان دواءاً، وإذا كان خطأ، كان داءاً»[٥].

آثار الحكمة هي لمساتها، وبصماتها التي تتركها في شخصية الإنسان، أو هي تلك القيم، والخصال الحميدة المترتبة على الإتصاف بالحكمة. وما من شيء في هذه الحياة إلا وله أثر، صغر ذلك الشيء أم كبر. فحبيبات التراب تتراكم، مكونة تلالاً من التراب. وقطرات الماء تتجمع، مكونة نهراً، أو شلالاً. والإنسان، والحيوان إذا مشيا على الأرض، بانت آثار مشيهما عليها، وهكذا.

ومن حكمة الله – عزَّ وجلَّ -، رأفته بعباده، أنه جعل كل صفة من الصفات الحميدة، أثراً لصفة حميدة أخرى، ووسيلة أو خطوة للإتصاف بهذه الصفة

١. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩١
٢. المصدر السابق – ص ٤٩١
٣. المصدر السابق – ص ٤٩١
٤. المصدر السابق – ص ٤٩١
٥. المصدر السابق – ص ٤٩١

الأخـرى، كالسلسـلة المتصلـة الحلقـات. فعلى سـبيل المثـال. صفة أو حالـة العدل في الإنسـان، إذا إتصـف الإنسـان بهـا، فإنهـا تـؤدي إلى خلق صفات حميـدة أخرى فيه، كالتقـوى، والحلـم، والعلـم، والحـزم، والحسـم، ومـا إلى ذلـك من الصفات الحسـنة، ومـن ذلـك نسـتنتج أن الخـير كلّ، وأجـزاؤه مرتبطة مـع بعضها البعـض، والجزء من الخـير يعـود إلى الجـزء الآخـر، وهكذا.

وهكـذا أيضـا بالنسـبة للصفـات السـيئة، إذ أن أي منهـا قـد يقـود إلى الإتصـاف بواحـدة أو أكـثر مـن الصفـات السـيئة الأخـرى، فعـلى سـبيل المثـال: صفـة النفاق. إذا اتصـف الإنسـان بهـا – لا سـمح اللـه – فإنهـا تـؤدي إلى خلـق صفـات سـيئة أخـرى فيـه، كالكـذب، وعدم إحترام الوعـود والمواثيق، والخيانـة إذا أتمن، ومن ذلك نسـتنتج أن الـشر كل، وأجـزاؤه مرتبطـة مـع بعضهـا البعـض، والجـزء مـن الـشر قد يعـود إلى الجـزء الآخـر منـه، وهكـذا.

وهنـاك شيء في علـم التربيـة، أو في علـم النفـس التربوي، يسـمى بأمهـات الصفات، أو الصفـات الأم، وهـي موجـودة في الخـير، وفي الـشر، وفي الصفـات الإيجابيـة، وغير الإيجابية.

ولنـضرب مثـالًا للصفـات الإيجابيـة بصفـة الإعـراض عـن دار الدنيـا، والتولـه بالدار الآخـرة. فـإذا إتصف الإنسـان بهـذه الصفة، فإنها تكـون أُماً لكثير مـن الصفات فيه، كالزهـد، والقناعـة، والصـبر، والتواضع، والرضا بقسـمة الله، والحكمـة، و...، وبالتالي تجـده يتصـف بهـذه الصفـات النابعـة مـن الصفـة الأم. ولنـضرب مثـالاً للصفـات السـلبية بصفـة حب الـذات، والمقصود الإفـراط في حب الذات، وحـب الأنا، والروح الأنانيـة، فهـذه الصفـة أم لكـثر من الصفات اللاإيجابية، كالحسـد، والحقـد، والتكبر، والغـرور، والعجـب، والزهـو، والإفتخـار، والظلـم، والطغيـان، و ...، فـإذا إتصـف الإنسـان بصفـة المبالغـة في حـب الأنـا، واستسـلم لهـذا الحـب، فإنـه يكـون معرضاً للإنصـاف بالصفـات اللاإيجابيـة المترتبـة عليه. وإذا عالـج هذه الصفة فيـه، وجعلها في حدهـا الطبيعـي، فـإن الصفـات الأخـرى الناتجـة منهـا، تختفي بشـكل طبيعي.

والحكمـة بإعتبارهـا المعرفـة، أو بإعتبارهـا فضيلـة أخلاقيـة، قـد تكـون أُمـاً لصفات

أخـرى، وأنهـا تـترك آثارهـا عـلى الإنسـان الحكيـم، قائـدة لـه إلى التحـلي بصفـات، وفضائـل، وآثـار أخرى.

فما هي آثار الحكمة:

وفي الحقيقـة أن آثـار الحكمـة كثـيرة، ويمكـن إعتبـار كل صفـة ناتجـة عـن الحكمة أثـراً مـن آثارهـا، إلا أننـا سـنقتصر عـلى ذكـر ما يـلي من الآثـار: -

أولًا: تلقيح العقل.

مـن أول أمـارات الحكمـة عـلى الإنسـان الحكيـم، عقلـه الـذي يتصـف بالوسـع، والحصافـة، والـذكاء، والثقافـة، والوعـي. والمقصـود مـن تلقيـح العقـل، أن يصبـح عقـل الإنسـان قويـاً، ناضجـاً، منتجـاً، مسـتوعباً لما يدور مـن حوله من أمـور الحياة، وأحداثهـا المختلفـة.

ويقصـد أيضـاً مـن تلقيـح العقـل، تخلصـه مـن كل مـا قـد يعلـق بـه مـن أمـراض، كالجهـل بنوعيـه: البسـيط، والمركب، والسفسـطائية، والجدال، وغيرهـا من الأمراض الأخـرى، وبالتـالي يصبـح الإنسـان – عـن طريـق الحكمـة – منطقيـاً، ناضـج العقل، وذا فهـم، ورويـة، ودقـة في النظـر إلى الأمـور، والتعامـل معهـا.

فإذا أردت أن يكون عقلك ملقحاً، حاول أن تكون حكيماً.

ثانياً: معرفة العبر.

مـن أهـم آثـار الحكمـة في الإنسـان الحكيم، أنهـا تجعله قـادراً على إنتـزاع المواعظ، والـدروس، والتجـارب، والعـبر مـن الأحـداث الماضيـة – عـلى إختلافهـا وتعددهـا – والتـي سـتجري، وبالتـالي يكـون قـادراً عـلى الإسـتفادة مـن التجـارب، فـلا يبـدأ من الصفـر في كل مـرة – كـما يفعل الإنسـان الذي لا يتعظ بأحـداث الحياة – وإنما يبدأ مـن حيـث مـا انتهت إليـه تجاربـه، وتجـارب الآخرين.

يقول الإمام علي (ع):

«التجربة تثمر الإعتبار»[1].

ويقول (ع):

«السعيد من وعظ بغيره»[2].

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تعطي للإعتبار بأحوال التاريخ، والأمم الماضية، أهمية كبرى، جاعلة من هذه العبر، طريقاً من طرق التقدم، والبقاء للأمة الإسلامية. ومن تلك الآيات القرآنية ما يلي:

يقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[4].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[5].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[6].

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[7].

١. شرح الغرر والدرر – ج ٧ – ص ٤٢
٢. ميزان الحكمة – ج ٤ – ص ٤٥٩
٣. سورة يوسف، الآية: ١٠٩
٤. سورة الحج، الآية: ٤٦
٥. سورة غافر، الآية: ٢١
٦. سورة محمد، الآية: ١٠
٧. سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[١].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[٣].

ومن ذلك نستنتج أن القرآن الحكيم يعطي أهمية بارزة للنظر في التاريخ، وأحوال الأمم، والسنن السابقة، والسنن التي تحدث من حولنا، وفي بداية الخلق، والإعتبار بها، من أجل تلافي الوقوع في الأخطاء، ومن أجل التقدم، ونيل رضى الله سبحانه وتعالى.

ولقد أعطت السنة النبوية، وروايات الأئمة (ع) - أيضا - أهمية كبيرة للتجارب والعبر. وكثيرة هي التي تدعونا إلى الاعتبار بالتاريخ، والأحداث التي تجري من حولنا، وبعيداً عنا.

يقول الإمام علي (ع):

«من بينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين»[٤].

«لا فكر لمن لا إعتبار له، لا إعتبار لمن لا إزدجار له»[٥].

«الإعتبار يثمر العصمة»[٦].

«من كثر إعتباره، قل عثاره»[٧].

«ما أكثر العبر، وأقل الإعتبار!»[٨].

«قد إعتبر بالباقي من إعتبر بالماضي»[٩].

١. سورة النمل، الآية: ٦٩
٢. سورة العنكبوت، الآية: ٢٠
٣. سورة الروم، الآية: ٤٢
٤. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٣٩
٥. المصدر السابق - ص ٣٩
٦. المصدر السابق - ص ٣٨
٧. المصدر السابق - ص ٣٨
٨. المصدر السابق - ص ٣٧
٩. المصدر السابق - ص ٣٦

ثالثاً: ضعف الشهوة.

يقول الإمام علي (ع):

«كلما قَويت الحكمة، ضعفت الشهوة»[١].

تقـدم في الفصـل السـابق أن مـن مورثـات الحكمـة، ومسـبباتها، غلبة الشـهوة. فإذا كانـت غلبـة الشـهوة مـن عوامـل حـدوث الحكمة في الإنسـان، فإن ضعف الشـهوة وموتهـا يكـون نتيجـة، وثمـرة، وأثـراً لتلـك الغلبـة، فـإذا غلـب الإنسـان شـهوته، فلا شـك أنهـا تضعـف أمام عقلـه، وإرادتـه، وتقـواه، وورعـه، وحكمته.

والمقصـود بضعـف الشـهوة التـي تحدثـه قـوة الحكمـة، أن حالـة النهم الشـهوانية الموجـودة في الإنسـان تخـف، وتضعف، سـواء فيما يرتبط بشـهوة الجنـس، أو الأكل والـشرب، أو حـب الأولاد، أو التملـك، أو السـطلة، ومـا شـابه ذلـك مـن الشـهوات والغرائـز. ويصبـح عقل الإنسـان - بالحكمة - هو المسـيطر، والموجـه، والمقنن لهذه الشـهوات، وليـس العكس.

ويفهـم مـن ضعـف الشـهوة الذي يترتب عـلى قوة الحكمـة، هو وضعهـا في إطارها الصحيـح، المحـدد مـن قبـل الـشرع، وبوضعهـا هكـذا تكـون محجمـة، ومؤطـرة في إطارهـا، وبالتـالي تصبـح مغلوبـة مـن قبـل عقل الإنسـان، ومنقـادة له.

وقـد يفهـم من ضعف الشـهوة أيضـاً، أن الحكمة قد تخلق في الإنسـان حالة روحية مـن الزهـد والمعرفـة الحقـة، تجعلـه ينظـر إلى هذه الشـهوات بأنهـا مؤقتـة، فانية، لأنهـا جـزء مـن الدنيـا الفانيـة. وبذلـك فـإن حالـة الزهـد هـذه تـؤدي إلى ضعـف الشـهوة، والسـيطرة عليها.

فـإذا أردت أن تسـيطر عـلى شـهواتك، وتنتـصر عليهـا، حـري بـك أن تلتحـق بركـب الحكـماء، وقطارهـم.

---

١. المصدر السابق - ص ٣٩

رابعاً: الصبر على مباينة الأضداد.

ومـن آثـار الحكمـة أنهـا تخلـق في الإنسـان حالة مـن الصبر عـلى مفارقـة، وهجران الأمـور المخالفـة للعقـل والأخـلاق الفاضلـة. فمـن يكون حكيـماً يصبر عـلى الإبتعاد عـن الطمـع، الـذي هـو ضـد القناعـة، وعـن الجـبن الـذي هو ضـد الشـجاعة، وعن البخـل الـذي هـو ضـد الكـرم، وعـن التكـبر الـذي هـو ضـد التواضـع، وعـن الجزع الـذي هـو ضـد الصـبر، وعـن الكـذب الذي هـو ضـد الصـدق، وهكذا.

وصـبر الإنسـان عـلى مباينـة هـذه الأضـداد لا يضيـع هـدراً، وإنما لـه ثمـن في الدنيا، والآخـرة. ففـي الدنيـا النجـاح والسـعادة، وفي الآخـرة الجنـة، والخلود.

يقول الشاعر:

من طلب العلى سهر الليالي *** يغوص البحر من طلب اللآلئ

فلكي ترى آثار الحكمة على نفسك، إعمل على أن تباين أضداد الأخلاق الحميدة.

خامساً: الوقار، والهيبة.

يقول الإمام علي (ع):

«من عُرف بالحكمة، لحظته العيون بالوقار، والهيبة» [1].

ومـن آثـار الحكمـة على الإنسـان أنها تجعله يكـبر في أعين وأنظـار الآخرين، ويصبح محترمـاً مكرمـاً عندهم، وذا شـخصية قوية، مقـدرة، ومحترمة، ومؤثرة.

فإذا أردت أن تصبح ذا وقار، وهيبة، فأعمل على أن تكون حكيماً في حياتك.

١. ميزان الحكمة – ج ٢ – ص ٤٩١

من صفات الشخصية الحكيمة

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«كلما قويت الحكمة، ضعفت الشهوة»[١].

تقدم أن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وبما أن الأنبياء حكماء، ومعصومون فيهم يضعون الأشياء مواضعها.

والحكماء باعتبار أنهم يسيرون على هدى العقل، وعلى هدى الأنبياء، ويقتدون بهم، فإن صفات، ومهارات كثيرة تتواجد فيهم، ويفتقر إليها غيرهم.

وعلى هذا فإن الشخصية الحكيمة تتميز بمجموعة كبيرة من الصفات، والمهارات، منها ما يلي:

- العقل.
- العلم.
- الذكاء.
- الفطنة.
- البصيرة النافذة.
- الفهم.
- العدل.
- الأخلاق الحسنة عموماً.
- الصمت.
- التفكر.
- الصدق.
- الأمانة.

١. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٤٩١

- الحلم.
- التواضع.
- الزهد في الدنيا.
- الصوم.
- حفظ اللسان.
- الإعتدال في الأكل.
- التبصر في عيوب النفس.
- الإنشغال عن عيوب الغير.
- الغلبة على الشهوة.
- إجمال الكلام.
- ترك ما لا يعني.
- غض البصر عما حرم الله.
- الرفق بالناس.
- القوة أمام أعداء الله ودينه.
- الإعتبار بأحداث الحياة.
- الوقار عند الهزائز.
- الصبر عند البلاء.
- الحزم.
- الحسم.
- الشجاعة.
- المعاشرة الحسنة مع الناس.
- التعامل الحسن مع الناس، والقدرة على كسبهم والتأثير فيهم.
- التمتع بنصيب أكبر من المشاركة الوجدانية للناس.

- الثقة بالنفس.
- عدم الإبتذال بالإنبساط إلى غير حميم.
- عدم قصد الحاجة عند غير كريم.
- المعاشرة بالمعروف لمن لابد من معاشرته.
- عدم الإنزعاج من قول الزور فيه.
- عدم الرضا بثناء الجاهل.
- مداراة من لا يوجد بد من مداراته.
- التفاؤل.
- تضمين الحديث طرائف الحكم.
- النشاط الدائم في العمل.
- الإمتزاج الإجتماعي بالآخرين.
- القراءة الكثيرة، والدراسة لزيادة المعلومات.
- طلاقة اللسان.
- إنتقاء الكلمات، وإستعمالها بسهولة.
- نظافة الثياب، وكثرة العناية.
- الضحك من كل القلب.
- الإصغاء بسهولة ويسر.
- وعي كلام المحدث.
- تعدد الأصدقاء الحميمين.
- تفضيل الصداقات العميقة.
- ترك الجدال.
- الإبتسام بسهولة ويسر مرات عيدة حين التحدث إلى الآخرين.
- السرعة في إبداء ملاحظات الثناء على الآخرين إبان وجودهم.

- الإعتناء بتلافي جرح شعور الآخرين، والحرص على عدم إعطاء فكرة سيئة عن النفس.
- جمع النكات، والقصص، وتضمين الحديث بها غالباً.
- الجدية في جميع الأعمال مع الآخرين، والعلاقات بهم.

وبما أن «رأس الحكمة، مخافة الله»، ومخافته تقواه وخشيته فإن صفات المؤمنين المتقين هي صفات الحكماء.

وصفات المتقين[1] كما يبينها أمير المؤمنين عليه السلام هي كالتالي:

- منطقهم الصواب.
- وملبسهم الإقتصاد.
- ومشيهم التواضع.
- غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم.
- ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم.
- نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء.
- ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب.
- عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم.
- فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون.
- وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون.
- قلوبهم محزونة.
- وشرورهم مأمونة.
- وأجسادهم نحيفة.
- وحاجاتهم خفيفة.

١. تحف العقول – ص ١٠٧ – ١٠٩

- وأنفسهم عفيفة.
- صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم.
- أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فغدوا أنفسهم منها.
- أما الليل فصافون أقدامهم.
- تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلًا، يحزنون به أنفسهم، ويستبشرون به دواء دائهم.
- فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا إنها نصب أعينهم.
- وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم.
- فهم حانون على أوساطهم.
- مفترشون لجباههم، وأكفهم، وركبهم، وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى فكاك رقابهم.
- وأما النهار فحلماء.
- علماء.
- أبرار.
- أتقياء.
- قد براهم الخوف بري القداح.
- ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرضى، ويقول: لقد خولطوا! ولقد خالطهم أمر عظيم.
- لا يرضون من أعمالهم القليل.
- ولا يستكثرون الكثير.

- فهم لأنفسهم متهمون.
- ومن أعمالهم مشفقون.
- إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي! اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، وأغفر لي ما لا يعلمون.
- فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين.
- وحزماً في لين.
- وإيماناً في يقين.
- وحرصاً في علم.
- وعلماً في حلم.
- وقصداً في غنى.
- وخشوعاً في عبادة.
- وتجملًا في فاقة.
- وصبراً في شدة.
- وطلباً في حلال.
- ونشاطاً في هدي.
- وتحرجاً عن طمع.
- يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجلّ.
- يمسي وهمه الشكر.
- ويصبح وهمه الذكر.
- يبيت حذراً ويصبح فرحاً، حذراً لما حذر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة.
- إن إستصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب.

- قرة عينه فيما لا يزول.
- وزهادته فيما لا يبقى.
- يمزج الحلم بالعلم.
- والقول بالعمل.
- تراه قريباً أمله.
- قليلًا زلله.
- خاشعاً قلبه.
- قانعة نفسه.
- منزوراً أكله.
- سهلاً أمره.
- حريزاً دينه.
- ميتة شهوته.
- مكظوماً غيظه.
- الخير منه مأمول.
- والشر منه مأمون.
- إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين.
- وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين.
- يعفو عمن ظلمه.
- ويعطي من حرمه.
- ويصل من قطعه.
- بعيداً فُحشه.
- ليناً قوله.
- غائباً منكره.

- حاضراً معروفه.
- مقبلًا خيره.
- مدبراً شره.
- في الزلازل وقور.
- وفي المكاره صبور.
- وفي الرخاء شكور.
- لا يحيف على من يبغض.
- ولا يأثم فيمن يحب.
- يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه.
- لا يضيع ما استحفظ.
- ولا ينسى ما ذُكّر.
- ولا ينابز بالألقاب.
- ولا يضار بالجار.
- ولا يشمت بالمصائب.
- ولا يدخل في الباطل.
- ولا يخرج من الحق.
- إن صمت لم يغُمّه صمته.
- وإن ضحك لم يعلُ صوته.
- وإن بغي عليه، صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له.
- نفسه منه في عناء.
- والناس منه في راحة.
- أتعب نفسه لآخرته.
- وأراح الناس من نفسه.

- بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة.
- ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة.
- ليس تباعد بكبر وعظمة
- ولا دنوه بمكر وخديعة.

كما أن أضداد صفات المقصرين المروية عن أمير المؤمنين – عليه السلام – أيضاً هي صفات الحكماء، وصفات المقصرين[1] – والمفرد مقصر – هي كالتالي:

- يرجو الآخرة بغير عمل.
- يرجى التوبة بطول الأمل.
- يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين.
- إن أعطي منها لم يشبع.
- وإن منع لم يقنع.
- يعجز عن شكر ما أوتي.
- ويبتغي الزيادة فيما بقي.
- ينهى الناس، ولا ينتهي.
- يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم.
- ويبغض المسيئين، وهو منهم.
- ويكره الموت لكثرة سيئاته، ولا يدعها في حياته.
- يقول: كم أعمل فأتعني، إلا اجلس فأتمني؟
- فهو يتمنى المغفرة، ويدأب في المعصية، وقد عُمر ما يتذكر فيه من تذكر.
- يقول فيما ذهب: لو كنت عملت، ونصبت لكان خيراً لي، ويضيعه غير مكترث، لاهياً.
- إن سقم، ندم على التفريط في العمل.

---

١. تحف العقول – ص ١٠٥ – ١٠٦

- وإن صح، أمن مغتراً.
- يؤخر العمل.
- تعجبه نفسه ما عوفي.
- ويقنط إذا ابتلي.
- تغلبه نفسه على ما يظن.
- ولا يغلبها على ما يستيقن.
- لا يقنع من الرزق بما قسم له.
- ولا يثق منه بما قد ضمن له.
- ولا يعمل من العمل بما فرض عليه.
- فهو من نفسه في شك.
- إن استغني بطر وفتن.
- وإن إفتقر قنط ووهن.
- فهو من الذنب والنعمة موفر.
- ويبتغي الزيادة، ولا يشكر
- ويتكلف من الناس ما لا يعنيه.
- ويصنع من نفسه ما هو أكثر.
- إن عرضت له شهوة واقعها باتكال على التوبة، وهو لا يدري كيف يكون ذلك.
- لا تغنية رغبته.
- ولا تمنعه رهبته.
- ثم يبالغ في السألة حين يسأل.
- ويقصر في العمل.
- فهو بالقول مدلّ.
- ومن العمل مُقل.
- يرجو نفع عمل ما لم يعمله.

- ويأمن عقاب جرم قد عمله.
- يبادر من الدنيا إلى ما يفنى.
- ويدع جاهداً ما يبقى.
- وهو يخشى الموت.
- ولا يخاف الفوت.
- يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثر من نفسه.
- ويستكثر من طاعته ما يحتقره من غيره.
- يخاف على غيره بأدنى من ذنبه.
- ويرجو لنفسه بأدنى من عمله.
- فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن.
- يؤدي الأمانة ما عوفي وأرضي.
- والخيانة إذا سخط وابتلي.
- إذا عوفي ظن أنه قد تاب.
- وإن أُبتلي ظن أنه قد عوقب.
- يؤخر الصوم.
- ويعجل النوم.
- لا يبيت قائماً.
- ولا يصبح صائماً.
- يصبح وهمته الصبح، ولم يسهر.
- ويمسي وهمته العشاء، وهو مفطر.
- يتعوذ بالله ممن هو دونه، ولا يتعوذ ممن هو فوقه.
- ينصب الناس لنفسه.
- ولا ينصب نفسه لربه.
- النوم مع الأغنياء أحب إليه من الركوع مع الضعفاء.

- يغضب من اليسير.
- ويعصي في الكثير.
- يعزف لنفسه على غيره، ولا يعزف عليها لغيره.
- فهو يحب أن يطاع ولا يعصى.
- ويستوفي ولا يوفي.
- يرشد غيره.
- ويغوي نفسه.
- ويخشى الخلق في غير ربه، ولا يخشى ربه في خلقه.
- يعرف ما أنكر.
- وينكر ما عرف.
- ولا يحمد ربه على نعمه.
- ولا يشكر على مزيد.
- ولا يأمر بالمعروف.
- ولا ينهى عن منكر.
- فهو دهره في لبس.
- إن مرض أخلب وتاب.
- وإن عوفي نسى وعاد.
- فهو أبداً عليه ولا له.
- لا يدري عمله إلى ما يؤديه إليه، حتى متى وإلى متى.

وفي الحقيقـة والواقـع أننـا أنـا، وأنـت، والأخـرون مدعـوون لخلق هـذه الصفات في أنفسـنا فـإذا أردنـا أن نكـون حكـماء فلنعمل على أن نعرض أنفسـنا عليهـا، ونقيس شـخصياتنا بهـا، فـإذا كنـا في تقـدم وصعـود فلنـزداد، وإذا كنا في تأخـر وهبوط – لا سـمح اللـه – فلننـدم، ولنصعد.

أحاديث شريفة في الشخصية الحكيمة

«العاقل من وعظته التجارب»[١]. (الإمام علي).

«العاقل يطلب الكمال، الجاهل يطلب المال»[٢]. (الإمام علي).

«العاقل من أحرز أمره»[٣]. (الإمام علي).

«العاقل من صدقت أقواله، أفعاله»[٤]. (الإمام علي).

«العقل من وقف حيث عرف»[٥]. (الإمام علي).

«العاقل من عقل لسانه»[٦]. (الإمام علي).

«العاقل من يزهد فيما يرغب فيه الجاهل»[٧]. (الإمام علي).

«العاقل من أحسن صنائعه، ووضع سعيه في مواضعه»[٨]. (الإمام علي).

«العاقل من إتهم رأيه، ولم يثق بكل ما تسول له نفسه»[٩]. (الإمام علي).

«العاقل من سلّم إلى القضاء، وعمل بالحزم»[١٠]. (الإمام علي).

«العاقل من صان لسانه عن الغيبة»[١١]. (الإمام علي).

«العاقل لا يتكلم إلا بحاجته أو بحجته، ولا يشتغل إلا بصلاح آخرته»[١٢]. (الإمام علي).

---

١. ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ٤١٤
٢. المصدر السابق - ص ٤١٤
٣. المصدر السابق - ص ٤١٤
٤. المصدر السابق - ص ٤١٤
٥. المصدر السابق - ص ٤١٤
٦. المصدر السابق - ص ٤١٤
٧. المصدر السابق - ص ٤١٤
٨. المصدر السابق - ص ٤١٤
٩. المصدر السابق - ص ٤١٤
١٠. المصدر السابق - ص ٤١٤
١١. المصدر السابق - ص ٤١٤
١٢. المصدر السابق - ص ٤١٤

«العاقل إذا سكت فكر، وإذا نطق ذكر، وإذا نظر إعتبر»[١]. (الإمام علي).

«العاقل يعتمد على عمله، الجاهل يعتمد على أمله»[٢]. (الإمام علي).

«العاقل يجتهد في عمله، ويقصر من أمله»[٣]. (الإمام علي).

«العاقل لا يفرط به عنف، ولا يقعد به ضعف»[٤]. (الإمام علي).

«العاقل يتقاضى نفسه بما يجب عليه، ولا يتقاضى غير لنفسه بما يجب له»[٥]. (الإمام علي).

«العاقل لا يستخف بأحد»[٦]. (الإمام علي).

«أعقل الناس أشدهم مداراة للناس»[٧]. (الرسول الأعظم).

«العاقل إذا علم عمل، وإذا عمل أخلص»[٨]. (الإمام علي).

«العاقل من كان ذلولًا عند إجابة الحق»[٩]. (الإمام الصادق).

«العاقل لا يتحدث بما ينكره العقل، ولا يتعرض المتهمة»[١٠]. (الإمام الصادق).

«العاقل يألف مثله، الجاهل يميل إلى شكله»[١١]. (الإمام علي).

«العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يقدم على ما يخاف العذر منه، ولا يرجو من لا يوثق به»[١٢]. (الإمام علي).

---

١. المصدر السابق – ص ٤١٤
٢. المصدر السابق – ص ٤١٥
٣. المصدر السابق – ص ٤١٥
٤. المصدر السابق – ص ٤١٥
٥. المصدر السابق – ص ٤١٥
٦. المصدر السابق – ص ٤١٥
٧. المصدر السابق – ص ٤٢٣
٨. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤١٤
٩. المصدر السابق – ص ٤١٥
١٠. المصدر السابق – ص ٤١٥
١١. المصدر السابق – ص ٤١٥.
١٢. المصدر السابق – ص ٤١٥.

«إن العاقل ليتعظ بالأدب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب»[١]. (الإمام علي).

«إن العاقـل اللبيـب مـن تـرك ما لا طاقة له بـه، وأكثر الصواب في خـلاف الهوى»[٢]. (الإمام علي).

«إن العاقـل رضي بالـدَون مـن الدنيا مـع الحكمة، ولم يرض بالـدَون من الحكمة مع الدنيـا فلذلك ربحت تجارتهـم»[٣]. (الإمام الكاظم).

«إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره»[٤]. (الإمام الكاظم).

«لـكل شيء دليـل، ودليـل العاقل التفكـر، ودليل التفكر الصمـت، ولكل شيء مطية، ومطيـة العاقل التواضـع»[٥]. (الإمام الكاظم).

«ثروة العاقل في علمه، ثروة الجاهل في ماله وأمله»[٦]. (الإمام علي).

«نصف العاقل إحتمال ونصفه تغافل»[٧]. (الإمام علي).

«كلام العاقل قوت، وجواب الجاهل سكوت»[٨]. (الإمام علي).

«صدر العاقل صندوق سره»[٩]. (الإمام علي).

«لا يلسع العاقل من جحر مرتين»[١٠]. (الإمام علي).

«غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله»[١١]. (الإمام علي).

«صفـة العاقـل أن يحلـم عمـن جهـل عليـه، ويتجـاوز عمـن ظلمـه، ويتواضـع لمـن

١. المصدر السابق – ص ٤١٥
٢. المصدر السابق – ص ٤١٥
٣. الأصول من الكافي – ج ١ – ص ١٧
٤. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤١٦
٥. المصدر السابق – ص ٤١٦
٦. الغرر والدرر
٧. المصدر السابق
٨. المصدر السابق
٩. نهج البلاغة – حكمة ٦
١٠. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤١٦
١١. المصدر السابق – ص ٤١٦

هـو دونـه، ويسـابق مـن فوقـه في طلـب الـبر، وإذا أراد أن يتكلـم تدبـر، فـإن كان خـيراً تكلـم فغنم، وإن كان شراً سـكت فسـلم، وإذا عرضت له فتنة إسـتعصم بالله، وأمسـك يـده ولسـانه، وإذا رأى فضيلـة إنتهـز بهـا، لا يفارقـه الحيـاء، ولا يبـدو منه الحـرص، فتلـك عـشر خصـال يُعـرف بهـا العاقـل» [1]. (الرسـول الأعظـم).

«العاقل من وضع الأشياء مواضعها، والجاهل ضد ذلك»[2]. (الإمام علي).

«العاقل من لا يضيع نفساً فيما لا ينفعه»[3]. (الإمام علي).

«ضياع العقول في طلب الفضول»[4]. (الإمام علي).

«ما العاقل إلا من عقل عن الله عمل لدار الآخرة»[5]. (الإمام علي).

«إن العاقـل مـن نظـر في يومـه لغـده، وسـعى في فـكاك نفسـه، وعمـل لما لابد منه ولا محيـص لـه عنـده»[6]. (الإمـام علي).

«إن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر»[7].

«إن العاقل من تورع عن الذنوب، وتنزه عن العيوب»[8]. (الإمام علي).

«العاقل من غلب هواه، ولم يبع آخرته بدنياه»[9]. (الإمام علي).

«العاقل عدو لذته، والجاهل عبد شهوته»[10]. (الإمام علي).

«ليـس العاقـل مـن يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل مـن يعرف خير الشرّين»[11]. (الإمام علي).

١. المصدر السابق – ص ٤١٦
٢. ميزان الحكمة – ج ٦- ص ٤١٧
٣. الغرر والدرر.
٤. المصدر السابق
٥. ميزان الحكمة – ج ٦ – ص ٤١٨
٦. المصدر السابق – ص ٤١٨
٧. المصدر السابق – ص ٤١٩
٨. المصدر السابق – ص ٤١٩
٩. المصدر السابق – ص ٤٢٠
١٠. المصدر السابق – ص ٤٢٠
١١. المصدر السابق – ص ٤٢٠

«للعاقل في كل عمل إرتياض»[١]. (الإمام علي).

«للعاقل في كل كلمة نبل»[٢]. (الإمام علي).

«على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين، والرأي، والأخلاق، والأدب، يجمع ذلك في صدره، أو في كتاب، ويعمل في إزالتها»[٣]. (الإمام علي).

«حق على العاقل أن يستديم الإسترشاد، ويترك الإستبداد»[٤]. (الإمام علي).

«لابد للعاقل من أن ينظر في شأنه، فليحفظ لسانه، وليعرف أهل زمانه» [٥]. (الإمام علي).

«ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن ينساهن على كل حال: فناء الدنيا، وتصرف الأحوال، والآفات التي لا أمان لها»[٦]. (الإمام الصادق).

«ألا وإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف إقامته فأصلحهما، وعرف سرعة رحيله فتزود لها»[٧]. (الرسول الأعظم).

«أنقص الناس عقلًا أخوفهم للسلطان، وأطوعهم له». (الرسول الأعظم).

١. المصدر السابق – ص ٤٢٠
٢. المصدر السابق – ص ٤٢٠
٣. المصدر السابق – ص ٤٢٠
٤. المصدر السابق – ص ٤٢٠
٥. المصدر السابق – ص ٤٢٠
٦. المصدر السابق – ص ٤٢٢
٧. المصدر السابق – ص ٤٢٢

السيد رضا علوي السيد أحمد (١٩٥٨-٢٠٠٨) وإسمه المستعار "خليل الموسوي". كاتب ومؤلف ومهندس وأستاذ بحراني ولد في قرية مهزة بجزيرة سترة في البحرين. له العديد من المؤلفات التعليمية والتربوية والسلوكية التي يسعى من خلالها لتنشئة جيل واع ذاتياً وتربوياً وإجتماعياً مستقل التفكير، والتي منها سلسلة فن السلوك التي تتكون من ثلاثة أجزاء .وله العديد من الكتابات والمقالات النقدية التي يحاول فيها تسليط الضوء على المشاكل المجتمعية في محاولة لإيجاد حلول عميقة لتطوير ورقي المجتمع .كان معلماً في اللغة العربية وقد ألف كتاب بعنوان فن الكتابة وقام بتدريسه. وكان السيد رضا شاعراً، فله ديوان شعر لم يُطبع بعد. وقد كان يتقن ثلاث لغات، العربية والانجليزية والفارسية، وقد ترجم أحد كتبه الى اللغة الإنجليزية. وكان مهندساً معمارياً وقد شغل عدة مناصب وأخرها كان في بلدية المنامة. ألّف السيد رضا اثنا عشر كتاباً، سبعة منها قد تم طباعته وخمسة منها لم يستطع إكمالها بسبب المرض.

WWW.REDHA-ALAWI.COM